الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

Centre UniversitaireAbdelhafid BOUSSOUF -Mila

معهـــــــــد الآداب واللغـــــــــات

قســـــم اللغـــــة والأدب العربـــــي

المرجـــــــــع:.....

رواية "النهاية" لحميدة شنوفي

مقاربة سيميائية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبات:

* أشواق قايم

إشراف الأستاذ:

د. موسى كراد

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الوالدين المحبين ..

الإخوة الطيبة ..

الأهل و الأحباب ..

طلبة الأدب الجزائري ومحبيه ..

المكتبة الجامعية – عبد الحفيظ بوالصوف – ..

أشواق قايم .

شكر وعرفان

نحمد الله عز وجل الذي أمطرنا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، والشكر لله الذي وفقنا طيلة مسارنا الدراسي والبحثي .

الحمد والشكر لله الذي وضع في طريقنا أناس لن نوفيهم حقهم مهما أطلنا من عبارات الشكر والتقدير، وذلك لطيبة قلوبهم ورقي عقولهم، سواء كانوا أفرادا من العائلة، أو أصدقاء، أو أساتذة، أو غرباء لم يسعفنا الحظ إلا أن نلتقي مرة واحدة فقط .

أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الدكتور " **موسى كراد** " الذي أشرف على مذكرة تخرجي وحرص على أن أقدم أفضل ما عندي فكان ملازما لي في كل مرة يحاضر فيها، كما أشكره على كل الدعم المباشر وغير المباشر، فشغفه، حماسه، حبه للعلم والتدريس انتقل لي فكانت إضافة طيبة بهية أفتخر بها.

كما أتقدم بكل عبارات الشكر إلى اللجنة التي حملت على عاتقها مهمة مناقشة هذا البحث.

أشكر كل الدكاترة الذين إهتموا بمصلحتنا كطلبة، وحفزونا لمواصلة مشوارنا كباحثين أكاديميين، أمثال الدكتورة الفاضلة " **فطيمة بوقاسة** "، وأشكر الأستاذ **ياسين حب الحمص** الذي قدم يد العون وقت الحاجة .

أتقدم بخالص الشكر لكل الأساتذة المتواضعين، اللذين كانوا، وما يزالوا بمثابة (الأنموذج) الذي جسد دور وأهمية الأستاذ في بناء جيل محب للعلم والتعليم.

أشواق قايم

مقدمة

اكتسحت الدراسة السيميائية بمختلف اتجاهاتها مكانة في غاية الأهمية داخل الساحة الأدبية كونها هدفت إلى دراسة الأدب دراسة علمية منهجية تسعى لتحقيق الموضوعية ،و التي جعلتها تحتل مكانة متميزة ، واهتم بها نقاد الغرب والعرب – بما في ذلك النقاد الجزائريين – اهتماما بالغا، فالدرس السيميائي جاء ليفسر الدلالات، والرموز، والإشارات، والمعاني التي تحملها العلامات اللغوية والغير لغوية، فذاع صيت هذا المنهج في القرن العشرين مع فرديناند دي سوسير، وتشارلز ساندرس بيرس الإنجليزي كرواد مؤسسين لمنهج نقدي عالج النصوص الأدبية بجدارة، خاصة بعد عجز المنهج البنيوي في تحقيق تلك الدراسة، كون هذا الأخير اعتبر حيز مغلق محدود إنفرد على نفسه، على عكس المنهج السيميائي الذي أثبت كفاءته، وقدرته على معالجة النصوص في فضاء مفتوح، من منطلق أن كل شيء قابل للتأويل، لأن كل شيء عبارة عن علامة حاملة لدلالات معينة .

اعتبرت الرواية مادة دسمة لهذا المنهج فالنصوص السردية تزخر بالدلالات، والرموز خاصة تلك التي ارتبطت أحداثها بالواقع، وصورت معاناة شعبها، مثلما نجده في الروايات الجزائرية التي حملت على عاتقها مهمة تأريخ الواقع، ومواكبة أحداثه، وأزماته السياسية، والإجتماعية، والإقتصادية، والثقافية السائدة في مختلف مراحله، وفتراته التاريخية، مجسدة واقع الشعب الجزائري في قالب فني جمالي يعكس القدرة الإبداعية للكاتب الجزائري، ومدى تمكنه من مواكبة شروط الكتابة السردية وأشكالها الفنية .

وسارت رواية " النهاية " لحميدة شنوفي على نفس المسار الذي نهجه عبد الحميد بن هدوقة صاحب رواية " ريح الجنوب " من منطلق أن الرواية التي ألفتها شنوفي جاءت لتكمل ما توقف عنده بن هدوقة، فسايرت هي الأخرى أحوال المجتمع الجزائري الثابتة منها والمتغيرة مجسدة إياه في قالب فني مشوق تراوح بين ما هو واقعي وما هو متخيل، الأمر الذي استدعانا لقراءة هذا العمل الإبداعي وتفسير ما حمله من دلالات وتأويلها.

إن اختيارنا لهذا الموضوع لم يكن محظ صدفة أو اعتباطيا ، بل كانت له دوافع ذاتية و أخرى موضوعية، فالدوافع الذاتية تتمثل في: تعلقنا برواية " النهاية " خاصة وأنها تتمة لرواية ريح الجنوب، فلم نستطع كبح فضولنا لمعرفة النهاية التي رسمتها الكاتبة للشخصيات التي أعادت إحياءهم ، ناهيك عن ارتباطنا و تفهمنا لرغبة البطلة وحبها الشديد للعلم و التعليم، وكذا لرغبتنا في التعرف أكثر على المنهج السيميائي والغوص فيه .

أما الدوافع الموضوعية ارتبطت بكون هذه الرواية لم تدرس من قبل، مما جعلنا نهدف لمعالجة قضاياها التي تمحورت حول المرأة والأرض، مما جعلها رواية ذات أهمية تسمح للباحث الخوض في غمار أحداثها وخباياها .

فكان الهدف من وراء هذه الدراسة محاولة الكشف عن الرموز المبثوثة في الرواية واستنطاق معانيها السطحية، والعميقة، و تحليلها بالإعتماد على آليات الدراسة النـقدية المعاصرة .

وقد رست بنا هذه الدوافع والأهداف لوضع عنوانا لبحثنا ، موسوما (رواية " النهاية " لحميدة شنوفي – مقاربة سيميائية .)، و الذي من خلاله حاولنا الإجابة عن الإشكالية التي تبادرت في أذهاننا أثناء إنجاز هذا البحث، المتمثلة في :

فيم تكمن جمالية العناصر السردية المكونة للرواية سيميائيا، أي ما الدلالات الممكنة التي تحملها؟

كان المنهج السيميائي أنسب منهج للكشف عن الدلالات والرموز الموجودة في رواية " النهاية " ، معتمدين في ذلك على آلية الوصف والتحليل .

وحتى نتمكن من الإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا على خطة بحث اشتملت على مقدمة و خاتمة يتوسطها فصلين .

فكان الفصل الأول موسوما (مصطلحات و مفاهيم البحث)، وقد قسم إلى مبحثين، خصص الأول للدراسة النظرية في مفاهيم سيميائية عامة، أما الثاني فقد تمحور حول الإتجاهات السيميائية .

في حين الفصل الثاني كان عبارة عن جانب تطبيقي مكمل، وكان بعنوان (الدراسة التطبيقية (مقاربة سيميائية لرواية النهاية)، وشمل خمسة مباحث سعت للكشف عن الدلالة التي يحملها كل من العنوان، صورة الغلاف وألوانه، الشخصية، الزمكان، وكذا المربع السيمـيائي .

وقد واجهتنا بعض الصعوبات أثناء مرحلة تشكيل البحث على ما هو عليه الآن، ومن تلك الصعوبات، شساعة الدراسة المستهلكة للوقت، وكذا تعسرنا لتحليل بعض المفاهيم والمصطلحات السيميائية .

وفي الختام نحمد الله الذي وفقنا في إنجاز هذا البحث، ونتقدم بالشكر الخالص للأستاذ المشرف " **موسى كراد** " على كرمه معنا، وعلى كل النصائح والإرشادات التي جعلت هذا البحث على ما هو عليه الآن .

كما نلتمس العذر لما حمله هذا البحث من نقائص، فإن أصبنا فذلك هو هدفنا ومبتغانا و إن أخطأنا فإننا قد حاولنا قدر المستطاع .

الفصل الأول:

وقفة مع مصطلحات ومفاهيم البحث

في هذا العنصر سوف نحاول ضبط وتحديد أهم ما يميز السيمياء عن غيرها من العلوم، كون هذا الأخير أصبح علما له ثقل في مجال الدراسات النقدية، ولا يسعنا تحقيق ذلك إلا بالمرور على : – بعض المفاهيم المحورية، قصد تفادي انحراف مسار المعنى المراد إيصاله، فالسيمياء مصطلح واجه إشكاليات عدة من حيث دقة ضبط مفهومه سواء أعند النقاد الغربيين أو العربيين.

– التطرق إلى أبرز الإتجاهات السيميائية ، بهدف تحقيق طرح علمي دقيق، الذي لن يتحقق إلا بالمرور عبر مجموعة من الخطوات التي تم تشكيلها على النحو التالي:

المبحث الأول : مفاهيم سيميائية عامة :

أ – المفهوم (اللغوي / الإصطلاحي) للسيمياء :

1 – تحديد المفهوم اللغوي في المعجم اللاتيني، والغربي، والعربي، وكذا في القرآن الكريم .

2 – المفهوم الإصطلاحي نذكر فيه تصور كل من السيميائي دوسوسير، بيرس، وتودوروف، إيكو، وعند العرب .

المبحث الثاني: الإتجاهات السيميائية:

أ – الإتجاه التواصلي .

ب – الإتجاه الدلالي .

ج – الإتجاه الثقافي .

– خلاصة المبحث.

المبحث الأول: المفاهيم السيميائية:

أ – المفهوم (اللغوي / الاصطلاحي) للسيمياء :

1 – اللغة :

ظهر هذا المصطلح في المعاجم الأجنبية، كالاتينية مثلا، التي توصلنا من خلالها إلى أن " السيميولوجيا " Sémiologie ككلمة « تكوينيا آتية من الأصل اليوناني Sémeion الذي يعني علامة، وLogos الذي يعني خطاب الذي نجده مستعملا في كلمات مثل Sociologie علم الإجتماع، و théologie علم الأديان (اللاهوت)، Biologie علم الأحياء، Zoologie علم الحيوان، ... إلخ وبامتداد أكبر كلمة Logos تعني العلم هكذا يصبح تعريف السيميولوجيا على النحو الآتي : علم العلامات»[1] .

أما في مفهومها اللغوي الغربي– بالتحديد الإنجليزي و الفرنسي – نجد مصطلح السيميائية يتكون « حسب صيغته الأجنبية Sémiologie أو Semiotics من جذرين Sémio و Tique ، إذ أن الجذر الأول الوارد في اللاتينية على صورتين هما Semio وSema يعني إشارة أو علامة، أو ما يسمى بالفرنسية Signe و بالإنجليزية Sign ... في حين الجذر الثاني Logie الذي يعني " علم " في اللغات الأجنبية وخاصة اللاتينية »[2].

وفي القاموس إنجليزي– عربي « نجد سيمياء: علامة و يقابلها Sign, Mark»[3]، كما نجد هذا المصطلح يتكرر معناه في معاجم جمعت بين لغتين، كاللغة العربية والإنجليزية،

---

1 – برنار توسان: ماهي السيميولوجيا ، ترجمة محمد نظيف ، دار النشر أفريقيا الشرق ، لبنان ، ط2 ، 2000 ، ص 9 .

2 – ليلى فالي :المصطلح السيميائي بين الفكر الغربي والفكر العربي ، تخصص نقد أدبي حديث ، كلية الأداب واللغات، جامعة المسيلة ، 2015 – 2016 ، ص 17 .

3 – القاموس عربي– إنجليزي ، The Dictionairy Arabic–English ، إعداد مكتبة الدراسات والبحوث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 2003، ص 509.

فنجد مثلا : « Traffice sing تحمل معنى علامة – إشارة – المرور .»[1] ، والتعريفات الآتية سوف تأكد على توافق المعنى رغم إختلاف اللغة الناطقة لهذه الكلمة .

في القاموس الإنجليزي نجد: « Sing: mark / symbol with a particular meaning»[2] ، و كذا : « Signal : sing , or device giving information »[3]

و في القاموس الفرنسي :[4] « Signe : ce que est la marque d'une chose » .

ونجد في المعاجم اللغوية العربية وفي بعض الآيات الكريمة القرآنية دلالة على« أن (سيمياء) لفظ عربي أصيل غير مولد ، وما يرد من صور لفظين متعددة فهو مشتق من جذر لغوي واحد هو (وسمى) من الجدر (وسم)، وقد وقع قلب مكاني فصار (سومى) ثم انقلبت " الواو" " ياء" لتعادل حركة ماقبلها وتجانسها، فصارت (سيما)، وهذا ما يكاد تجمع عليه المرجع اللغوية ، وكتب التفسير والحديث والدلالة التي نجدها في اللفظ على اختلاف صورة واحدة غالبا ، وهي العلامة ، حيث أن (سيمياء) أو (سيماء) أو (سيما) تعني العلامة ، وهي مشتقة من الفعل(سام) الذي هو في الأصل (سوم) مقلوب (وَسَمَ) والأرجح أن وزن (سيما) الصرفي يأتي على (عِفْلى)، وصورة نطقها(فِعْلى) ، ف(سِمَةٌ) في أصلها (وِسْمَةٌ) ، والعرب يوردونها بالقصر (سيمَى)، وبالمد (سيما)، مسهلة من الهمزة ، وقد ينبرونها مع المد فيقولون (سيماء) (سيمياء)، و (سَوَّم) الرجل إذا جعل عليه سمة أو وضع على نفسه علامة تميزه عن سواه، والخيل (المسّومة)هي التي عليها(السيما) (السومة)، وهي العلامة ، وتجمع على (سِيَم) وهي العلامات التي تُجعل على أصواف الغنم و(سيما) في الأصل (وِسْمى) فحولت " الواو " من موضع " الفاء " فوضعت موضع "العين"، كما قالوا ما أطيبه

1 – N .S Doniach :the oxford English-Arabic Dictionary of current usage , oxford university press, 1972 , p 1149 .

2 – Larg English Dictionary to help you with learning English , Editors : M.Deuter ,J.Greenan and others , p 712 .

3 – N .S Doniach , p 1149 .

4 – Dictionnaire de L'académie française- 5éme édition – 1798 , p 3009 .

وأيطبه ، فصار (سِوْمى).»[1]، فكان هذا اللفظ و على الرغم من تعدد كتابته بين وسم ، و سوم، وسمى، و سومى ... إلا أن معناه واحد يدل على العلامة.

وورد في معجم الصحاح للجوهري ، نجده في باب الميم ، فصل السين ، مادة (سوم): « السُومَةُ ، بالضم: العلامة تُجعل على الشاة وفي الحرب أيضا . تقول منه : تَسَوَّمَ ، في الحديث : « تَسَوَّمُوا فإن الملائكة قد تَسَوَّمَتْ » ، والخيل المُسوَّمَةُ ، المُعَّلَمة ، وقوله تعالى : ﴿ مَسَوِّمِينَ ﴾ قال الأخفش : يكون مُعَلَمِينَ .»[2]

وفي القاموس المحيط لفيروز آبادي ، نجد في فصل السين ، حرف الميم ، مادة (سوم) : «السومةُ بالضم ، والسيمَةُ والسيماءُ والسيمياءُ بكسرهنَّ : العَلامَةُ ، وسَوَّمَ الغَرَسَ تسْوِيمًا : جعلَ عليه سيمَةُ ، وفي قوله تعالى ﴿مِّن طِين (33) مُّسَوَّمَةً﴾ سورة الذاريات ، الأية 33 – 34 ، أي : عليها أمثالُ الخواتيم ، أو معلَّمة ببياضٍ وحمرةٍ ، أو بعلامةٍ يُعْلَمُ أنها ليست من حِجارة الدُّنيا.»[3]

وإذا اتجهنا نحو الشعر العربي نجده يزخر بلفظة « السيمياء »، ومن بين ذلك قول : السيد بن عنقاء الغزاري حيث يمدح عميلة حين قاسمه ماله :

غلاَمُ رَماه الله بالحُسن يافعا له سِيمياءُ لا تَشُّقُّ على البَصَرْ .

كأنَّ الثُريَّا عُلَقَتْ فَوْقَ نَحْرِه وفي جِيدهِ الشِعْرَى وفي وَجْهِهِ القَمَرْ . [4]

و السيمياء هنا يقصد بها أن كل من يبصره يسعد به .

وقد ورد أيضا عدة مرات في القرآن الكريم ، نحو قوله عز وجل :

---

1 – أحمد علي محمد : المفهوم اللغوي والإصطلاحي للسيمياء عربيا بحث في المصطلح والمصطلح المجاور (مقاربة فيولوجية)، العميد مجلة فصيلة محكمة ، العدد 7 ، ذي القعدة 1434 هـ / أيلول 2013 م ، ص 247 – 248 .

2– إسماعيل بن عماد الجوهري: الصحاح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 القاهرة 1956م ، ط2 ، بيروت 1979 م ، ج 5 ،ص 1955 .

3– مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ،(د ت)، ص 1124 .

4– ابن منظور: لسان العرب ، المجلد 15، ط1 ، المطبعة الميرية ببولاق مصر المعزية ، 1303هـ ، ص 205 .

﴿لِلْفُقَرَاءِالَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (سورة البقرة الآية : 273)

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌوَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ (سورة الأعراف الآية : 46)

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(سورة الأعراف الآية : 48)

2 – الإصطلاح :

وجدنا أن تعريف " أمبرتو إيكو " Umberto Eco أفضل مثال بحيث يقول : « عندما أقول بدراسة العلامة فإني أقصد كل أنواع العلامات وكل أنواع السيميائيات، أي ليس العلامة اللغوية فقط، وإنما أيضا العلامة المنتشرة في شتى مناحي الحياة الإجتماعية فاللباس ونظام الأزياء أو الموضة السائدة في المجتمع ماتشكل علامات وأنظمة تختلف من مجتمع إلى آخر مثل آداب التحية في اليابان ، وعلاقات الزواج وتقاليده ، نظام المطبخ وإشارات المرور كل هذا يشكل علاقات وإشارات ودلالات .... »[1] ، في هذا التعريف نجد إيكو Eco قد أشار إلى أن العلامة لا تقتصر على الدراسة اللغوية فقط، بل هي أشمل من ذلك، وتعدت إلى دراسات غير لغوية للعلامات وأنظمتها، ونلتمس نفس المفهوم مع بيرس Peirce الذي يرى الكون بأكملة حامل لعلامة كبرى شاملة لمختلف الشعوب بما فيها من عاداتهم، تقاليدهم، وكذا ممارساتهم اليومية، فكلها محتضنة لعلامات، إشارات دالة من منطلق أن العلامة لابد لها أن تتضمن دالا ومدلولا و رمزا .

واختلف الدارسين الغرب في مصطلح (السيميائية) وذلك راجع إلى اختلاف المناطق واللغة المستعملة ، فهناك من وظف في دراسته مصطلح Sémiologie العائد إلى " فرديناند

1 – عبد القادر بن عامر، سفيان مطروش: مقاربة المنهج السيميائي في نقد الرواية الجزائرية ، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، العدد 6 ، مارس 2018، ص 296 .

دو سوسير " Ferdinand de Saussure ، وظهر في الكتاب الذي جمعت فيه محاضراته بعد وفاته ، من قبل تلامذته الموسوم بـ: " محاضرات في اللسانيات العامة "، Cours de Linguistique Générale، وهو مصطلح فرنسي ، وهناك من وظف مصطلحSemiotica أو Semiotics في أبحاثه، وهو عائد إلى الفيلسوف الأمريكي "شارل سندرس بيرس " Charles Sanders Peirce ، وهذا المصطلح يظهر في كتابه الموسوم ب :" السيميوطيقا " Semiotics وهو شامل لكل العلامات اللغوية(اللفظية)، والغير لغوية (إشارات، إيماءات، إيحاءات...) على عكس المصطلح السويسري الذي حصر السيميائية في اللغة .

وبالنظر إلى التصور السيميائي عند " دوسوسير " De Saussere مكتشف السيمياء (علم العلامات) نجد أنه:« انصب اهتماماته على إرساء دعائم نظرية لسانية جديدة تقوم على مبدأ النظر في اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها ولم يكن كلامه عن السيميولوجيا إلا اقتراحا، فقد قدم تصورا عاما لعلم مستقل بذاته يكون فرعا من علم النفس العام وتكون اللسانيات فرعامنه اسمه السيميولوجيا، تكون وظيفته الأساسية دراسة حياة العلامات داخل الحياة الإجتماعية وكشف القوانين التي تحكمها..»[1]، وللتأكد من صحة هذا التصور وثباته نستشهد بمقولة سوسير:« من الممكن تصور علم يدرس حياة العلامات ضمن الحياة الإجتماعية، الذي يشكل جزءا من علم النفس الإجتماعي، وبالتالي النفس العام والذي سنطلق عليه اسم السيميولوجيا.

وبهذا يكون سوسير أدرج السيميولوجيا في إطار علم النفس من جهة كونه علم ريادي للعلوم الإنسانية ومن جهة أخرى اعتبره قسما أساسيا من علم الإجتماع، ومن هنا نستنتج أن لسوسير نزعتين: تتمثل الأولى في النفسانية ويظهر هذا في قوله:" إن العلامة اللغوية لا تجمع بين الشيء والاسم، بل بين المفهوم والصورة السمعية "، أما الثانية فهي إجتماعية:" بفصلنا اللسان عن الكلام ، فإننا نعزل في الوقت نفسه الإجتماعي عن الفردي" .

1- أمينة فزاري: السيميائية: المصطلح والمفهوم والإشكالية، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، العدد 17، 2007 ، ص 133 .

كما يؤكد على الأهمية التي تكتسبها السيميولوجيا فهي تهتم بدراسة العلامات وإختلافها وقواسمها المشتركة وتحويل العلامات ومعانيها ».[1]

بالإضافة إلى الحديث عن ثنائية الدال والمدلول حيث «" يرى سوسير" أن العلامة تفصح عن علاقة ثنائية تجمع بين مفهوم الذهني للشيء (الدال) وبين الصورة السمعية له (المدلول)، وهو بهذا يؤكد العلاقة الإعتباطية بينهما مغفلا – في الوقت ذاته – ما للعلامة من علاقة كبيرة بواقعها الخارجي ، وهنا يمكن الفرق بين "سيميولوجيا" و" سيميوطيقا " "بيرس" لأن Peirce يرى أن العلامة تفصح عن علاقة ثلاثية تتكون من ممثل أول يحيل إلى موضوع ثاني عن طريق مؤول ثالث .»[2]– نفصل فيها لاحقا – .

أما بالنسبة إلى التصور السيميائي عند "بيرس" Peirce ، فالبرغم من تزامنه مع " دوسوسير " DeSaussure– تاريخيا – " بيرس" (1839– 1914) ، " سوسير " (1857 – 1913– إلا أننا نلمح بعض الإختلافات من حيث التسمية حيث عمد اسم (السيميوطيقا) Semiotics، ولم يصرف جل اهتماماته على العلامات اللغوية فقط « بل تجاوزها إلى ما تتجه هذه العلامة مما هو ثانوي وغير أساسي إلى درجة يصبح ذا قيمة كتذاكر الحافلات، والصكوك المصرفية أو ذا شكل إبلاغي كالتعبير عن العواطف والتعبير الأدبي... فهي متعددة المجالات، وتتميز بكونها تستند على المنطق و الرياضات...»[3]، وذلك راجع إلى دراسة بيرس لمختلف العلوم وتمكن منها قبل تطرق إلى هذا العلم– السيميائية – ، وبالتالي يمكن القول أن بيرس Peirce تجاوز فضاء اللغة بدراسته السيميوطيقية ، وتوجه نحو ماهو أعمق بدراسة ما وراء العلامات اللغوية.

---

1 – أسماء بن مالك : الخلفيات النظرية للمصطلح السيميائي وترجمته إلى العربية ، مذكرة الدكتوراه في الترجمة ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، كليات اللغات والآداب والفنون ، قسم اللغة الانجليزية والترجمة ، 2018–2018 ، ص 47 – 48 .

2 – هيام عبد الكريم عبد المجيد علي : دور السيميائية اللغوية في تأصيل النصوص الشعرية – شعر البردوني نموذجا – ، دار النشر الجامعة الأردنية ، أيار 2001، ص 34 .

1– عبد القادر بن عامر، سفيان مطروش ، المرجع السابق ، ص 299 .

وكذا قوله:« ليس بمقدوري البتة دراسة أي شيء مهما كان: الرياضيات، أو الأخلاق، أو الجاذبية الأرضية، أو الدينامية الحرارية، أو البصريات، أو الكيمياء، أو علم التشريح المقارن، أو علم الفلك، أو علم الأصوات، أو علم الاقتصاد، أو النبيذ، أو علم القياس والموازين، إلا دراسة سيميائية أو سيميوطيقية .»[1] ، من خلال هذا القول نجد " بيرس" اعتبر السيمياء علم فريد من نوعه وله المقدرة للتطلع على مختلف أنواع العلوم ودراستها.

ونظر بيرس للسيمياء على أنها «السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة وتداولها أو ماسماه ب(السيميوزيس) Semiosis ، تلك السيرورة التي يشتغل بموجبها شيء ما باعتباره علامة، وباعتبارها بداية وغاية كل فعل سيميائي، وهكذا يصير سيميوزيس عبارة عن دلالات متناسبة وغير منتهية يحركها اشتغال عناصر ثلاثة هي الممثل Representamen، الموضوع Objet ، المؤول Interprétant .»[2]، و بهذا المفهوم تصبح السيرورة هي أهم عنصر منتج للدلالات، إن لم نقل هي الأساس الذي تقوم عليه العلامة و كل عناصرها، فهي التي تستخرج دلالات و معاني بشكل متواصل .

وهذه «السيرورة السيميائية – حقل السيميوز – تستدعي الماثول كأداة للتمثيل ، وتستدعي الموضوع كشيء للتمثيل ، وتستدعي مؤولا يقوم بالربط بين العنصرين أي ما يوفر الماثول إمكانية تمثيل الموضوع بشكل تام داخل، وهذه الأركان الثلاثة ممثلة كالآتي :

2– أمينة فزاري ، المرجع السابق ، ص 133 .

3 – هواري بلقندوز، مدخل إلى السيميائيات التداولية إسهامات بيرس وشارل موريس، الملتقى الثالث " السيمياء والنص الأدبي " كلية الآداب والفنون جامعة مستغانم ، (دت)، ص2–3.

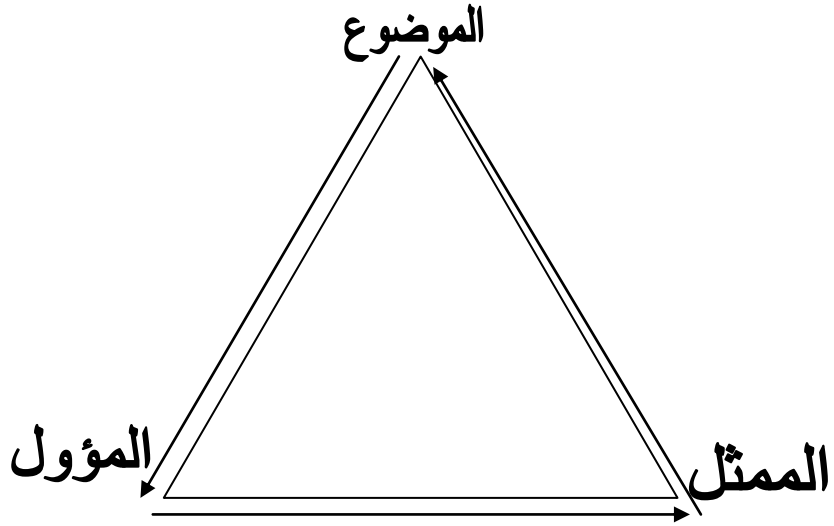

إن المخطط السابق جعلنا ننتقل إلى تعريف العلامة وفق معطيات حقل السيميوز عند " بيرس " Peirce ، يقول : « العلامة أو المصورة (الممثل) Representamen هي شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما بصفة ما ، أي أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة أو ربما علامة أكثر تطورا ، و هذه العلامة التي تخلقها أسميها مفسرة (مؤول) Interpretant للعلامة الأولى . إن العلامة تنوب عن شيء ما وهذا الشيء هو(موضوعها) Object، وهي لا تنوب عن هذا الموضوع من كل الوجهات بل بالرجوع إلى نوع من الفكرة التي سيمتها ركيزة Ground المصورة .»[1]، و للتوضيح أكثر سوف نعمل على تقسيم هذا التعريف على النحو الآتي :

– العلامة – المصورة – الممثل : يقابلها " الدال " وفق المفهوم الذي وضعه دي سوسير(الصورة الصوتية).

– شيء ما : يمكن أن يكون رسما كاريكاتوريا ، أو صورة فوتوغرافية ، أو رسما تشكيليا ...

– ينوب لشخص ما : نأخذ على سبيل المثال الرسومات الكاريكاتورية الفرنسية التي تستحضر شخصية النبي عليه أفضل الصلاة و السلام .

2 – سيزا قاسم ، نصر حامد أبو زيد: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا ، مقالات مترجمة ودراسات، دار إلياس العصرية ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، د.ط ، 1986 ، ص 26 .

– شيء ما : الإسلام .

– بصفة ما: الإرهاب حسب التصور الفرنسي .

– المفسر– المؤول: يقابلها المدلول وفق المفهوم السويسري (الصورة الذهنية) أي ما تصوره العقل .

– أي أنها تخلق في عقل ذلك الشخص... مفسرة للعلامة الأولى: هنا حين نسقط هذه الجملة على المثال السابق نجد أن ذلك الرسم الكاريكاتوري يرسخ في ذهن الفرد الفرنسي صورة الإسلام، وهنا يصبح لدينا علامتين الأولى محسوسة وهي الرسم الكاريكاتوري، والثانية هي الصورة الذهنية المفسرة للأولى.

– الركيزة المصورة: يقابلها عندنا الرسم الكاريكاتوري لنبي الله، لأنه هو الذي نبني من خلاله التصور .

الآن بعد أن توضحت الفكرة في أذهاننا نستنتج أن هذا الرسم لا يعبر عن الإسلام كدين، بل عن جزء منه –حسب الرسام– المتجسد في شخص النبي، بمعنى لا يمكن لنا فهم الإسلام برسمه، لكننا نرتكز عليها في إنشاء تصورنا للدين وللنبي، وهي لا تنوب عن هذا الموضوع من كل الوجهات (الإسلام)، بل بالرجوع إلى نوع من الفكرة التي سميتها ركيزة مصورة (الرسم الكاريكاتوري المصور لنبي الله محمد) .

أما بالنسبة للنقاد العرب فيمكن القول أن الثقافة العربية هي الأخرى حضيت بحصة من ذلك الإختلاف في تحديد واستخدام المصطلح، فهناك من تبنى السيميائية البيرسية، والأخر تبنى السيميائية السوسرية مما نتج عنه أثر سلبي في ساحة النقد الأدبي، إضافة إلى الدور الذي لعبته الترجمة من اللغات الأجنبية –فرنسية / أمريكية– إلى اللغة العربية ، فظهرت العديد من الترجمات والمصطلحات ، كل واحدة منها تحدد على حسب المستوى المعرفي لمترجمها وحجم ثقافته وتمكنه من اللغات الأجنبية، ومن بين تلك المصطلحات نجد:" السيميولوجيا السيميوليقا، السيمياء، السيمائية، علم السيمياء، السيميائيات، العلامة، العلامتية، العلاميات

علم المعنى، علم الدلالة، الدلائلية، الإشاراتية، الإعتراضية، علم الإشارات، علم الرموز.."[1]، فكانت هذه التسميات وآخرى تحمل دلالة واضحة على مدى اتساع وتذبذب الإصطلاح العربي للكلمة الأجنبية، مما أدى إلى تعدد اللفظ بتعدد الترجمات – التي تختلف من مترجم لآخر، كل على حسب مدى تمكنه من اللغات الأجنبية – الأمر الذي يقود بالضرورة لتعدد التعريف المصاحب لذلك اللفظ .

إلا أن هذا المصطلح ظل « كمفهوم يحاول الباحث العربي ترجمته، وإدراكه وفهمه والبحث عن ما يقارب معناه في اللغة العربية، ومن الجهود العربية الحديثة في الوطن العربي للسيميائية المبكرة منذ منتصف السبعينيات والتي تأسست خلال الثمانينيات في المغرب العربي نجد " عبد الملك مرتاض " مثلا يستحسن مصطلح السيميائية ، وكذا " رشيد بن مالك " يستخدم مصطلح السيميائية من خلال مؤلفه (السيميائية أصولها وقواعدها) ، وكذا كتابه (مقدمة في السيميائية السردية) ، ويترجم " الطيب بكوش " المصطلح إلى الدلائلية ، أما " ناصر حامد أبو زيد " و" سيزا قاسم " يستخدمان مصطلح السيميوطيقا في كتابهما (مدخل إلى السيميوطيقا، حول بعض المفاهيم والأبعاد)، وعليه فقد تعددت وتباينت الآراء من باحث إلى آخر حول مصطلح (السيميائية) (La Sémiotique) ، وتسمية (علم العلامات) " لعبد السلام المسدي" الأكثر دلالة على المفهوم الغربي، ومنه يمكن القول إن السيميائية ظلت عند الإغريق والعرب والأوروبيين مختلطة المفاهيم غير محددة الحقول "[2]، إلى أن قدم المؤسسان الفعليان لعلم قائم بذاته " السيمياء" ألا وهما كل من: " فرديناند دي سوسير"، و" شارل سندرس بيرس" .

كما أن مفهوم العلامة لم يقتصر على العمل الأدبي فقط، بل تعدى إلى الفكر الإسلامي والدراسات القرآنية من منطلق أن "نظرة المسلمين للعالم بوصفه دلالة على وجود الخالق – وهي

1– هيام عبد الكريم عبد المجيد علي، المرجع السابق ، ص 10 .

2– آسيا جريوي: المصطلح السيميائي بين الفكر العربي والفكري الغربي، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 12، جانفي 2013 ، ص 333.

نظرة يؤديها القرآن – ما يؤكد تفسيرنا لمفهوم الدلالة في الفكر الإسلامي بما يوازي العلامة في المفهوم السيميوطيقي، فعلى اعتبار أن اللغة نظام دال مقترن بدلالات أخرى، فإن الدراسات القرآنية تبنى على أساس أن أهم هذه الدلالات تتمثل في العقلية منها، والفرق بين اللغة من حيث وظيفتها الدلالية وبين الدلالة العقلية أن العلاقة بين الدال والمدلول في اللغة علاقة اصطلاحية، بينما العلاقة بين الدال والمدلول في الدلالة العقلية تقوم على صلة ما، ومن هنا فقد تشبع العلماء المسلمون على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم العلمية ومنطلقاتهم الفكرية بالثقافة الدينية، مما جعل الإطار العام الذي دارت حوله الأبحاث الدلالية ينحصر في اعتبار الكون دال على خالقه، ويتساوى في ذلك المعتزلة والمتصوفة وغيرهم، إلا أن الدراسات لم تنحصر في المجال الديني بعد ذلك ، إذ أن مفهوم العلامة التأويلية تجاوز كل ماله علاقة بالعمل الأدبي، ومن خلال هذا يتجلى التراث الفكري العربي في محطات عديدة لا يسع المجال لذكرها، إلا أنه يجب الإشارة إلى أن استعمالات مصطلح " السيمياء" عند العرب قديما قد اختلفت مفاهيمه، فقد ارتبط في بعض العصور بكونه "علم السحر والكهانة" ، كما ارتبط أحيانا " بالكيمياء " وفي بعض الأحيان الأخرى "بالفلسفة "و"المنطق "، أما فيما يخص الدلالة وعلاقتها بالألفاظ فنجد أن إسهامات كل من المفكرين والفلاسفة جاءت على قدر من الأهمية شأنها في ذلك شأن آراء اللغويين والبلاغيين ، فمن "ابن سينا " والغزالي " إلى " الجاحظ " الذي كان له باع في هذا المجال، إذ أن كلامه لا يبتعد عما تقول عليه السيميائية الحديثة من إشارة وقرينة و رمز وأيقونة سواء أكان قد ذكرها بلفظها أو معناها، وهذا الحديث ينطبق على كل من " الجرجاني " والرازي " وصولا إلى " أبي هلال السكري، والراغب الأصفهاني"[1] ، و غيرهم من النقاد العرب القدماء .

و لدعم ما قيل سابقا نذكر تصور "الأصفهاني" للدلالة ، يقول :""الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالات الإشارات والرموز والكتابة، وسواء أكان

1- فركوس حنيفة: الأصول الغربية للسيمياء و إرهاصاتها العربية، مجلة الأثر، العدد 23 ،2015، ص81 -82 .

ذلك بقصد من يجعله دلالة ، أم لم يكن يقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي"، ويستشهد على تصوره هذا بما ورد في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ سبأ 14 .

فالأصفهاني بهذا المفهوم للدلالة يوسع المجال التطبيقي الإجرائي للعلاقة لتشمل أنماط سيميائية، هي: (الألفاظ، الإشارات، الرموز، الكتابة، الهيئة)، ثم يركز على مسألة الدلالة القصدية وعدمها في العلامة، وقد كان مدركا عندما جسد ذلك بصورة سليمان – عليه السلام – كما ورد في نفس الآية الكريمة أنه ظل بعد وفاته عاما منتصبا ومستندا على منسأته (عصاه)، هذه الهيئة أو النصبة كما يسميها الجاحظ، أولها الجن بدلالة الحياة ، لذلك كانت تعمل وكأنها مأمورة ، وبالتقدم الزمني أكلت الأرضية منسأته، فخر ساقطا، وهذه الهيئة هي علامة الموت والفناء، وهذه الصورة مثل بها الأصفهاني تنطبق على أي هيئة "[1] .

ب – الفرق بين السيميولوجيا والسيميوطيقا :

ووفقا لما سبق تمكنا من معرفة بعض الفروق الفاصلة بين السيميولوجيا و السيميوطيقا من منطلق أن لكل منهما إستعمال معين :

– السيميولوجيا :

1– كانت السيميولوجيا في فرنسا إلى حدود سنة 1960، جزءا من البنيوية الفرنسية، (ميرلوبونتي، ليني ستروس، ديميزيل، لاكان)، تلك التي تأثرت بألسنة هيالمسليف وجاكوبسون تلميذي سوسير، ورغم تميز السيميوتيقا لبعض الوقت حين أسست الجمعية الدولية للسيميوتيقا، فإن السيميولوجيا ظلت سائدة في الأقطار اللاتينية .

1 – بلقاسم دفة: علم السيمياء في التراث العربي ، العدد 91 ، 1424 هـ – 2003 م ، ص 73 .

2 – لقد تأسس المشروع السيميولوجي على رؤية سويسرية ، وكان منحصرا في اللغة لا يتجاوزها، تم هذا المشروع في إطار نظرية الإبلاغ وكان عبارة عن تطبيق آلي لأنماط العلاقات اللغوية، ومن هنا بدا و كأنه ملحق بالألسنية .

3 – أخذ الفرق بينهما يتسع شيئا فشيئا، ذلك أن السيميولوجيا إعتبرت اللغات الطبيعية أدوات لها تساعدها على صياغة قول شارح La paraphrase تصف به المواضيع، بينما انحصر الهم الأكبر للسيميوتيقا في تشكيل لغة واصفة للغة، تكون الواصفة منهما مستـقاة من الموصوفة ."[1]

– **السيميوطيقا :**

« يجب التمييز بين نوعين من السيميوتيقا ، هما البيرسية (نسبة لبيرس) والمعاصرة .

1 – فالسيميوتيقا البيرسية لا ينصرف كامل اهتمامها إلى العلامة فقط، بل تجاوزها إلى ما تنتجه هذه العلامة مما هو ثانوي وغير أساسي، إلى درجة أن يصبح ذا قيمة، كتذاكر الحافلات والصكوك المصرفية، أو ذا شكل إبلاغي كالتعبير عن العواطف وكالتعبير الأدبي.

2 – بينما تتميز السيميوتيقا المعاصرة بما يلي :

– لا تفصل العلامة اللغوية على غير اللغوية .

– يجب أن ترتكز على علم هو موضوع دراستها وتحليلها على ما يسمىSémanalyse الذي يرفض ديريدا أن تكون العلامة أساسا له .

– تستهدف بالبحث نماذج الدلالة .

– تتخذ مجالها في النص كممارسة دالة .

– تختلف الأسئلة التي تطرحها على النص بحسب إتجاه الباحث .

وفي هذا المجال يمكن الحديث عن السيميوتيقا بنيوية دعا إليها غريماس.

---

1 – محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء،1407هـ–1987، ص6–7.

وباختصار فإن بارث وأتباعه يصرون على استعمال كلمة " سيميولوجيا " Sémiologie في هذا المقام ، وينحو نحوهم مارتيني و تلاميذه من الوظيفيين ، في حين أن من أطلق عليهم كلود كوكي اسم مدرسة باريس."[1] هذه المدرسة التي لا توظف في دراساتها سوى مصطلح السيميوطيقا Sémiotique .

المبحث الثاني: الإتجاهات السيميائية:

اتفق العديد من النقاد والباحثين السيميائيين على كون « السيميائية العامة اليوم كعلم ما تزال في طفولتها، وهذا يدل على أنه لم توجد بعد سيميائية واحدة تشتمل على مجموعة من المفاهيم والمناهج المشتركة بين أولئك الذين يدعون أنهم "سيميائيون" ، فنجد عدة مدارس تتعارض لا من حيث النظريات السيميوطيقية المتنافرة التي تقترحها فحسب، و إنما تتعارض أيضا من حيث تصورها لما يجب أن يشكل نظرية " سيميوطيقية " أو " سيميولوجية " لا سيما إذا وضع في الحسبان النشأة المزدوجة للسيميائية منذ ظهورها لأول مرة على يد مؤسسها " بيرس " Peirce و " دي سوسير " De Saussure ، وما يمكن أن يحدث جراء ذلك من تعارضات وإختلافات في المذاهب والإتجاهات "[2] ، يمكن حصر هذه المدارس في ثلاث إتجاهات هي: الإتجاه التواصلي، والإتجاه الدلالي، والإتجاه الثقافي .

أ – الإتجاه التواصلي :

" يمثل هذا الإتجاه مجموعة من المناطقة و اللسانيين منهم : " مونان " Mounin و " بريطو " Prieto ، و" بويسنس " Buyssens و غيرهم ، وينظر هذا الإتجاه إلى العلامة على أنها أداة تواصلية، أو وسيلة قصد تحقيق تواصل إبلاغي، وهذا مفاده أن العلامة تتكون وفق هذا المنظور من الدال والمدلول والقصد أو الوظيفة، ولا يهم هؤلاء اللغويين و المناطقة من العلامة السيميائية غير الإبلاغ وأداء الوظيفة التواصلية، وهذه الوظيفة الإبلاغية لا تنحصر في

1 – المرجع السابق ، ص 7 – 8 .

1 –هيام عبد الكريم عبد المجيد علي ، المرجع السابق ، ص 19 .

الأنساق اللسانية وحسب، بل تتعداها إلى كل الأنساق غير اللسانية مادامت تؤدي الغرض الإبلاغي، فالسيميولوجيا عليها أن تهتم بكل ما هو قابل للإدراك كالوقائع ذات الصلة بحالات الوعي، والمنتجة أساسا بقصد التعريف بحالات الوعي هاته "[1]، فكانت السيميولوجيا التواصلية ترتكز بالدرجة الأولى على العلامة التواصلية المقصودة .

وسيمياء التواصل يحتوي على محورين هما: العلامة والتواصل، اللذان ينقسمان بدورهما إلى أقسام، وبهذا يمكن القول أن سيميائية التواصل، أو إتجاه التواصل ينقسم إلى:

– **التواصل اللفظي – اللساني** –:" يتم عبر القناة الصوتية السمعية أي يتكئ أساسا على اللغة الإنسانية، ويتحقق سمعيا وصوتيا ، فاللغة المنطوقة تعتمد على نظام من العلامات الدالة (الدال و المدلول حسب المفهوم السويسري)، كما أن هذه اللغة الإنسانية وظيفتها هي وظيفة تواصلية قصدية، وسيميولوجية التواصل تذهب إلى تبني هذه الوظيفة القصدية ويمثل هذا الإتجاه جورج مونان، وبرييطو، وبويسنس، والمدرسة الوظيفية بصفة عامة.»[2]

– أما **التواصل الغير لفظي:** " يعنى به التواصل و إيصال المعلومات أو إستقبالها بغير اللغة المنطوقة، ويشتمل على القنوات السلوكية أو التعبيرية مثل: تعبيرات الوجه، حركات الجسد، وتنوعات الصوت، في حين التواصل الغير لفظي نجد فيه قراءة من خلال الجسد عن طريق التعابير و الإيماءات التي يتخذها، و التي تعكس ما يفكر أو يشعر به الإنسان ،وهذه التعابير بعضها فطري كالدهشة، الإشمئزاز.. وآخر يكتسب بالتعلم و الملاحظة ."[3] مثلما هو الحال مع لغة الإشارة. ويرى بويسنس أن التواصل الغير لفظي – الغير لغوي – مصنف حسب ثلاث معايير هي : "– **معيار الإشارة النسقية** : تكون فيه العلامات ثابتة ودائمة، كدوائر

---

2 – عيسى مبرك : فلسفة العلامة عند رولان بارت الأسطورة ونسق الزي أنموذجا ، مذكرة ماجيستير في الفلسفة ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، قسم الفلسفة ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2010–2011 ، ص 14 .

1–جميل حمداوي : التواصل اللساني و السيميائي و التربوي ، دار النشر الألوكة (د . بلد) ، 2015 ، ص 24 .

2 –سلاف شهاب الدين يغموز : التواصل غير اللفظي في الإبانة و التواصل نماذج تطبيقية و مقولات كلية ، مذكرة ماجستير في اللغة العربية و آدابها ، كلية الآداب و اللغات ، في جامعة بيرزيت ، فلسطين ، 2019 ، ص 17 .

ومستطيلات ومثلثات علامات السير، مما يشكل أصناف جد محددة من المؤشرات.

– **معيار الإشارة اللانسقية** : تكون فيه العلامات غير ثابتة وغير دائمة على عكس المعيار السابق، كالملصقات الدعائية المختلفة، التي تُستعمل الشكل واللون قصد إثارة انتباه المستهلك.

– **معيار الإشارية:** التي لمعنى مؤشرها علاقة جوهرية بشكلها كالشعارات الصغيرة التي تُرسم عليها مثلا: قبعة أو مظلة، ثم تعلن على واجهات المتاجر، دليلا على ما يوجد فيها من البضائع.."[1]

أما بالنسبة العلامة « إن تطبيق شرط القصدية يسمح لنا بالتمييز بين نوعين من العلامات:

– علامة تتوفر على قصد التواصل و تسمى دلائل .

– علامات لا تتوفر على القصد ، و يمكن الحديث حينئذ عن الإمارات .

إذ يهمل أصحاب هذا الإتجاه الإمَارة باعتبارها علامة غير قصدية بالرغم من دلالتها فمثلا الطريقة التي يتحدث بها الشخص يمكن أن توحي لنا بأنه يعاني من مشاعر القلق ، نطق اسم شخص غير مألوف يمكن أن يكشف لنا بأنه أجنبي. في حين يرى بريتو بأن العلامة مكونة من دال ومدلول ، بينهما مناسبة ما »[2]

ب – الإتجاه الدلالي :

هذا الإتجاه شمل السيميولوجيا السوسيرية (الدال والمدلول)، وسيميولوجيا بارث، وكذا السيميائية السردية لغريماس التي حاول فيها دراسة النص بمعزل عن محيطه الخارجي وإستخراج دلالاته ومعانيه. و" كما هو معروف عن دي سوسير أنه يعتبر السيميولوجيا علم قائم على اللغة وهذه اللغة هي نظام من العلامات المعبرة لذلك، فهي تماثل أنظمة الكتابة

1 – محمد السرغيني: المرجع السابق ، ص 28.

2 – باية سيفون: محاضرات في السيميولوجيا ، مقياس السيميولوجيا، موجهة لطلبة السنة الثالثة إعلام و اتصال ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم علوم الإعلام والاتصال ، 2015 – 2016 ، ص 18 .

وأبجدية الصم والبكم والطقوس الرمزية.. وغيرها من العلامات المتواجدة داخل الحياة الإجتماعية، وهذا العلم استعار عددا من المبادئ والمفاهيم من علم اللغة الحديث، مثل العلامة اللغوية (الدليل اللغوي)، والدال والمدلول، واعتباطية الدليل ويمكن التعرف عليها سريعا على كل منها كما يلي:

- العلامة اللغوية و الدال والمدلول :

تقوم العلامة اللغوية على الربط بين شيئين، يدعى الأول " مفهوما أو دليلا " ويدعى الثاني " صورة سمعية أو دالا "، وكلاهما قائم على طبيعة نفسية من جهة، وعلى اتحاد عقلي بواسطة " العلاقة الترابطية " من جهة أخرى .»[1]، فكلمة (بيت) مثلا تعتبر علامة سيميائية لسانية ، ولو رصدنا شكلها السمعي لوجدنا أن الصوت ينقسم إلى (ب . ي . ت)، أما بما يخص مفهوم هذه الكلمة، فهو يشمل كل المعاني اللغوية المرتبطة بصورة البيت ، فيتبادر في الذهن (بناء، منزل، مأوى، عائلة ...)، وعلى هذا النحو كانت العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية، ارتبطت فيها الصورة الصوتية بالصورة الذهنية .

مميزات الدليل السوسيري :

" 1)- الدليل صورة نفسية مرتبطة باللغة لا بالكلام .

2)- يستند الدليل على عنصرين أساسيين هما: الدال والمدلول، مع إبعاد الواقع المادي أو المرجعي، لأنه إقصاء المرجع يعني أن لسانيات سوسير شكلانية و ليست ذات بعد مادي أو واقعي .

وجه نقد إلى " سوسير " لإغفاله بعض المؤشرات الضرورية في التدليل كالرمز، وحصره العلامة في إطار ثنائي قائم على (الدال والمدلول)، ومحاولته التركيز على شكلنه المضمون، وإبعاد الواقع أو المرجع.

1 – هيام عبد الكريم عبد المجيد علي ، المرجع السابق ، ص 30 – 31 .

وبهذا يمكن القول أن سوسير ركز في سيميولوجيته على: العلاقة الثنائية الجامعة بين المفهوم الذهني (الدال)، وبين الصورة السمعية (المدلول) المؤكدة على وجود علاقة اعتباطية بينهما ، مغفلا الواقع الخارجي و علاقته بالعلامة."[1] ، بالإضافة إلى أن العلامة عند سوسير تمحورت حول العناصر اللغوية لا أكثر.

وكذا " يمثل " رولان بارث " Roland Barthes هذا الإتجاه، ويستثمر رؤيته السيميولوجية من أفكار سوسير مبتعدا قدر الإمكان عن السيميوطيقا، و ربما يمكن تفسير ذلك بصعوبة أفكار بيرس التي تشعبت كثيرا ، و تستند أفكار بارث السيميولوجية إلى أفكار سوسير فيما يتعلق بمجموعة من الثنائيات: " اللغة / الكلام "، " الدال / المدلول " ، تجلى عمل بارث بتحريك هذه الثنائيات إلى حقول اجتماعية وثقافية كالموضة والمصارعة والمطبخ وغيرها، الذي منح هذه السيميولوجيا طابع المتعة، لكن هذا لا يعني أن سيميولوجيا بارث لم تعان من الضعف بسبب التقوقع ضمن المنظومة السوسيرية ."[2]

فبارث بهذا نجده قد ابتعد عن السيميوطيقا البيرسية بالرغم من أنها امتازت بالغنى والشمولية « حاول تطبيق المقاربة اللسانية على الظواهر السيميولوجية، كأنظمة الموضة، والأساطير، والأزياء، والصور، والإشهار، والنصوص الأدبية ...الخ و يعني هذا أن رولان بارث عندما يدرس الموضة مثلا يطبق عليها المقاربة اللسانية تفكيكا وتركيبا من خلال استقراء معاني الموضة ودلالات الأزياء و تعيين وحدتها الدالة، ونفس الشيء في قراءته للصورة أو النصوص... مع الحرص على تعيين مقصدياتها الإجتماعية والنفسية والثقافية .»[3]

إضافة إلى ألجيرداس جوليان غريماس حيث « يعدُ كثير من الدارسين أن أبحاث غريماس رائد المدرسة الفرنسية حول النظرية السيميائية ، تجاوزت الأسس النظرية التي أرساها

---

2 – المرجع نفسه ، ص 32 – 36 .

1 – وائل بركات : السيميولوجيا بقراءة رولان بارت ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 11 ، العدد الثاني 2002 ، ص 55 .

2 – باية سيفون : المرجع السابق ، ص 24 .

كل من الألسني ف دي سوسير والفيلسوف الأمريكي ش.س.بيرس إلى تطوير تلك المقولات وتعديلها، وانصبت دراسات غريماس السيميائية في المجال السردي، والتي ستكون فيما بعد منهجا نقديا سيميائيا في الدراسة السردية –السيميائية السردية–، ويمكن حصر نظرية " ألجيرداس جوليان غريماس"، وهي تشتغل على محورها الأساس (المعنى)، وبحث عناصره التي بُني عليها النص السردي من خلال عمادين أساسيين: أولاهما نموذجه في البنية العاملية، وثانيهما عرف بالمربع السيميائي عرضه في شكل خطاطة تختزل معاني النص و بنيت أساسا على جملة من العلاقات تشتغل ضمن مستويين إثنين: السطحي والعميق».[1] وعلى هذا الأساس يمكن القول أن السيميائية السردية الغريماسية اهتمت بتقسيم النص السردي إلى « مستوى سطحي، ومستوى عميق .»[2] و يطلق عليهما باللغة الفرنسية : Le niveau de surface , Le niveau de profond »[3] ، وهذان المستويان اشتملا دورهما في الدراسة السيميائية للنص السردي على:

1– المستوى السطحي: تمحور هذا المستوى على إبراز دور البنية العاملية في استخراج الدلالات، والتي أساسها يقوم على مجموعة التغيرات، هذه الاخيرة شكلت سلسة متتابعة، متكونة من ستة فواعل « ترتب على هيئة ثنائيات كالتالي: (مرسل – مرسل إليه)، (ذات فاعل– موضوع)، (مساعد – معارض) »[4]« فيكون الفاعل ما هو إلا ذات قامت بالفعل والموضوع

1 – محمد درويش ، نور الدين كنتاوي : تقويم سيميائية غريماس في النقد الجزائري المعاصر ، مجلة آفاق علمية ، المجلد 11 ، العدد 4 ، 2019 ، ص 519 – 520 .

2 – شرشار فاطمة زهرة : تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر، مذكرة دكتوراه في النقد الأدبي الحديثو المعاصر، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس ، 2017 – 2018 ، ص 52 .

3 – عقاق قادة: السردية و مستويات التحليل السيميائي للنصوص (سيمياء السرد الغريماسية نموذجا) ،جامعة سيدي بلعباس، الجزائر دت، ص 299 .

4 – فراحتية نبيلة : آليات التحليل السيميائي للنص السردي في الخطاب النقدي الجزائري تجربة – عبد الحميد بورايو، رشيد بن مالك أنموذجا – مجلة الفضاء المغاربي ، المجلد 3 ، العدد 4 ، أبريل 2020، ص 31 .

خاضع للفعل ، وما يساعده هو مساعد و ما يعرقله هو معارض»[1]، و هذه الثنائيات هي عبارة عن بنى دالة سماها بالبنية العاملية المتمثلة في« الشكل الآتي :

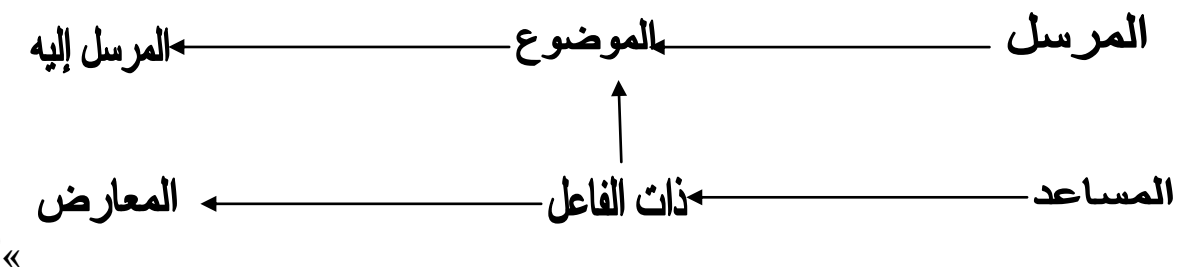

»[2]

وعليه فإن هذا النموذج إحتوى على ثلاثة محاور تتمثل في كون الأول تمثل في الرغبة التي نجدها تربط ذات الفاعل بالموضوع ، أما الثاني جسد عملية التواصل التي تربط المرسل والمرسل إليه ببعض، في حين الثالث نجده لخص حالة الصراع التي عادة ما تكون بين المساعد و المعارض .

2 – المستوى العميق: لعب فيه المربع السيميائي الدور الرئيسي ، الذي جمع بين الدلالات الواضحة و الخفية في النص السردي ،« والمربع السيميائي هو نموذج اقترحه غريماس يقوم على التقابل بين الأضداد الثنائية، لأنه رأى أن المعنى يقوم على أساس اختلافي، وبالتالي فتحديده لا يتم إلا بمقابلته بضده، وفق علاقة ثنائية ، وقد صاغ غريماس أفكاره هذه في المربع السيميائي باعتباره حوصلة التحليل السيميائي »[3] ، و رسم غريماس مربعه نحو :

---

5 – حشلاني لخضر، بديريتة فاطمة : السيميائيات السردية من فلادمير بروب إلى غريماس ، مجلة مقاليد ، العدد 9 ديسمبر 2015 ، ص 79 .

6 –كمال أونيس : النموذج العاملي في رواية مذنبون لون دمهم في كفي لحبيب السائح ، مذكرة ماجستير ، تخصص نقد أدبي ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر بسكرة 2012 – 2013 ، ص 43 – 44 .

1 – كمال جدي : المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك ، شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، تخصص النقد العربي و مصطلحاته ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة و الأدب العربي ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2011 – 2012 ، ص 35 .

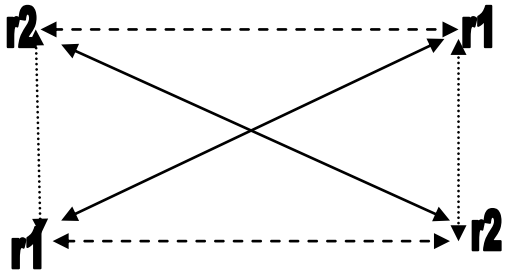

علاقة تناقض ، علاقة تضاد ، علاقة تضمين .

و للتوضيح نضع المثال الآتي ، معتمدين على ثنائية (الحرب والسلم) ، فيصبح هنا الحرب يعادل r1 ، و السلم يعادل r2 ، و لا سلم يعادل r2 ، و لا حرب يعادل r1:

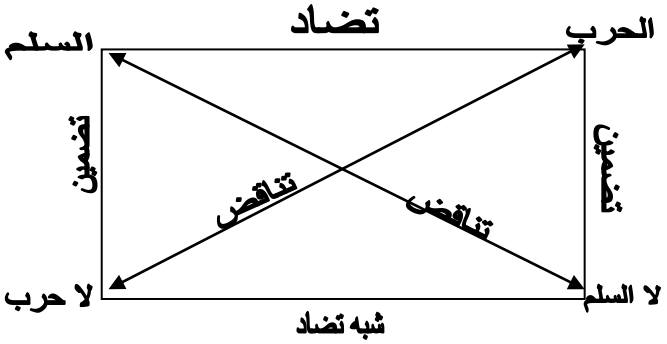

فنجد في هذا المربع ثنائية تدل على الضدية مثل : (الحرب، السلم) و(لا سلم، لا حرب)، وثنائية تدل على التضمين مثل : (السلم، لا حرب) و (الحرب، لا سلم)، و ثنائية تدل على التناقض مثل: (السلم، لا سلم) و (الحرب، لا حرب) .

هذه الثنائيات تنتج لنا ثنائية (النفي والإثبات) فمثلا في علاقة التناقض نجدها تتضمن نفيا مثل: (حرب، لا حرب)، وهذا النفي هو من ينتج الإثبات، والذي نجده في علاقة التضمين (السلم، لا حرب).

ج – الإتجاه الثقافي :

يمثل هذا الإتجاه ثلاثة مدارس المدرسة الروسية تارتو، المدرسة الفرنسية إيكس المتأثرة بفلسفة الأشكال الرمزية لكاسيرر، وكذا المدرسة الإيطالية، فكل هذه المدارس تعتبر العلامة مكونة من دال ومدلول ومرجع المتمثل في الثقافة، « أسهمت جهود و أبحاث و دراسات قام بها كل من " لوثمان " Lothman ، و" أوسبنسكي " Uspnsky ، و" تودوروف " Todrov ، و" إيفانوف " Ivanov، و" بياتيغورسكي " Pyatigorsky ، في التأسيس لإتجاه سيميائي جديد أطلق عليه: " سيميائيات الثقافة "، وقد تزعم هذا الإتجاه هؤلاء الباحثين في إطار مدرسة سيميائية عرفت باسم " تارتو موسكو.»[1] « وترتبط تسمية هذه الجماعة (مدرسة) بجامعة تارتو(Tartu) في مدينة تارتو في إستوني، وتعد من أهم المدارس السيميولوجية الروسية ومن بين أهم أعلامها ليكومتسيف و بينتغريسك، وجمعت أعمالهم في كتاب باسم أعمال حول أنظمة العلامات...تارتو»[2]، وكانت سنة 1976 هي سنة إصدار هذا الكتاب .

أولوا عناية واهتمام خاص بعنصر الثقافة « كونها الإطار الأصلي الذي يضم السلوك الإنساني، الفردي منه والجماعي، ويربط علماء هذا الإتجاه بين السلوك الإنساني وبين إنتاج العلامات واستخدامها، إذ يرون أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى هي: الدال والمدلول والمرجع – وهو هنا الثقافة.

وبهذا يمكن القول أن الثقافة هي التي تكتسب للعلامة دلالاتها و حسب هذه الرؤية تصبح العلامة غير ثابتة لأن الثقافات متعددة.

« و تنظر سيميائيات الثقافة إلى الظواهر الثقافية بوصفها أنظمة دلالية مختلفة ومتداخلة في الآن نفسه –لأنها تقتصر على ثقافة واحدة –، فهي تهتم بالثقافات الكونية و تهتم

1 –إبراهيم مهديوي : سيمياء الثقافة و التاريخ ، مجلة أمارات ، إصدار كلية الآداب و الفنون ،جامعة حسيبة بن علي بالشلف ، الجزائر ، المجلد 2 ، العدد 2 ، سبتمبر 2012 ، ص 113 .

2 – زاهي نجيب رشيد سلامة : شعر الصعاليك في العصر الجاهلي – دراسة في ضوء سيمياء الثقافة – ، أطروحة الدكتوراه ، تخصص الأدب والنقد الأدبي ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن ، تموز 2019 ، ص 32 – 33 .

بخصوصيات كل ثقافة مستقلة داخل نظام سيميائي كوني، وتعنى أيضا بالأقطاب الثقافية الصغرى والكبرى ضمن ثنائية المركز والهامش، وبذلك يصبح الكون كله مجالا تشتغل عليه سيمياء الثقافة، فهي تسعى إلى دراسة أنظمته الثقافية في كل مجالاته كالإبداع، والجغرافيا والعمارة والعادات والتقاليد، والآداب واللغة، والفن، والفلكلور، والترجمة، والأدب المقارن، والتواصل، وعلاقة الأنا بالأخر، وأدب الرحلة ...»[1]، وغيرها .

أما بالنسبة لمدرسة إيكس والتي أطلق عليها هذا الاسم « نسبة إلى المدرسة التي يحاضر فيها زعيم هذا الإتجاه أستاذ الأدب الفرنسي مولينو Molino، الذي جمع مع جان جاك نايتي بين نظرية بيرس حول العلامة و إشارتها و أيقونتها ورمزها، وبين فلسفة إرنست كاسيرر Ernst Cassirare الرمزية التي تصف الإنسان بأنه حيوان رمزي، لا يحيا في عالم مادي خالص، و إنما يحيا في عالم رمزي يتكون من اللغة والأسطورة والفن والدين ...»[2] ، « فهو عالم يتميز بالتعدد والتنوع فمثلا: اللغة نجدها متنوعة وتختلف باختلاف المناطق فمنها ما هو عربي، وإنجليزي وآخر إسباني... وغيرها من اللغات وكذا الأمر ينطبق على الدين فنجد الإسلام، المسيحية ، اليهودية، البوذية ...»[3]، و غيرها .

ونجد في تعريف كاسيرر للفلسفة الرمزية أن الإنسان بالنسبة له هو" حيوان رمزي "، وهي فكرة استوحاها من أرسطو الذي اعتبر الإنسان أنه حيوان ناطق، إلا أن كاسيرر تجاوز أرسطو في اعتباره أن الإنسان لابد من تعريفه بأنه حيوان –كائن– رمزي مختلف عن الكائنات الآخرى المتواجدة على سطح الأرض، وأطلق عليه " حيوان رامز " بدل من " حيوان – عاقل – ناطق " من منطلق أنه يدرك واقعه وعالمه من خلال شبكة رمزية، فهو لا يعيش في عالم مادي

---

2 – علوي أحمد الملجمي : النص بين النقد الثقافي و سيميائيات الثقافة المفهوم و آليات المقاربة ، مجلة ذخائر للعلوم الإنسانية ، دورية إلكترونية أكاديمية ، محكمة ، نصف سنوية ، العدد 2 ، 2017 ، ص 47 – 48 .

1 – هيام عبد الكريم عبد المجيد علي ،المرجع السابق، ص 46 .

2 – أشرف البنزرتي: التواصل و الأنظمة الرمزية ، الإنسان كائن رامز ، موقع موسوعة سكوول ، 26/ 03/ 2018 https://mawsoaschool.net/baclettres/alensen-kayen-ramez/,14:37 , 13/03/2021

بحت بل يعيش في عالم رمزي، وهو من خلق هذه الرموز ونوع فيها بهدف مساعدته على فهم واستيعاب العالم الذي يعيش فيه، ووفقا نتوصل إلى أنه لا يمكن دراسة الإنسان إلا بدراسة تلك الرموز فهي عبارة عن واسطة تحيل بين هذا الكائن و عالمه المادي.

« والرمز عند كاسيرر هو مفتاح سحري يمكن به فتح عالم الثقافة، وبفضل هذا الأخير – عالم الثقافة – تميز الإنسان عن الحيوانات ، فالإنسان قادر على تشكيل و إبداع الرموز فهو يمتلك قدرة إنتاجية ولا يمكن فهم الإنسان إلا بفهم تلك القدرات نفسها، فالإنسانية عند كاسيرر هي عبارة عن كتاب مكتوب بلغة رمزية»[1] ، ومن غير الممكن أن تتم قراءته إلا من خلال امتلاك تلك الرموز .

ووفقا لما سبق نجد أن « أصحاب هذا الإتجاه يدرسون السيميولوجيا وفق الأنظمة الرمزية ، من خلال حصر الرمز في النصوص، والمأثورات الشفوية ...»[2]، بهدف استخراج تلك الأنظمة الرمزية التي نجدها مثلا في الخطابات الدينية، و التي نجدها مثلا في الخطابات الدينية، هي عبارة عن تلك اللغة المكونة من رموز تسمح للإنسان بالتواصل مع خالقه عن طريق مجموعة من الألفاظ، وكذا خطاب الله عز وجل مع عبده من خلال توظيف اللغة، والدليل على ذلك الكتب السماوية (القرآن الكريم، الإنجيل، التوراة)، وكذا اللغة الشفوية التي يوظفها الإنسان لتحقيق التواصل ناجح مع بني جلدته سواء كانت هذه اللغة الشفوية التي يستعملها لتلبية حاجياته .

أو لدراسة الأساطير التي ينتجها الإنسان المعبرة عن إبداعه في نقل الوقائع والحقائق من خلال مزجها وإغراقها في الخيال، وهي عبارة عن رموز تحمل في طياتها ثقافة الشعوب وذهنياتهم، وهذه الأساطير مقدسة بالنسبة لشعوبها ولا يمكن فهمهم إلا بفهم تلك الأساطير وما

---

3 – بولفعة قروج : فلسفة اللغة عند أرنست كاسيرر من التعبير عن العالم إلى تشكيل الثقافة ، مذكرة دكتوراه في علوم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية ، قسم الفلسفة ، جامعة الجزائر 2 ، أبو القاسم سعد الله 2018 – 2019 ، ص 64 – 65 .

4 – موقع إلكتروني : المدارس و الاتجاهات السيميولوجية : 2017/04/14 .

/201704/blogpost-193html ?m :1,15 :03,13/03/2021.http://bohouti,bloyspot.com

تحمله من رموز، وكل واحدة منها تعبر عن شعب معين، فنجد أساطير يونانية وأخرى رومانية ...« إلا أنها تشترك عادة في مواضيعها مثل سرد أحداث تلك العناصر البطولية التي شارفت الكمال و كيف صارع الآلهة بعضهم البعض حتى استقر الكون على ما هو عليه، وكيف استطاع الإنسان الإلاهي أن يطوع الطبيعة وكيف خلقت الأرض..»[1]« وهذه الأساطير رافقت الإنسان منذ نشأته وما تزال ترافقه »[2]، الأمر الذي جعلها عنصر رمزي مهم لابد دراسته .

أو بدراسة الفن بداية من الحياة البدائية المليئة بالرموز فنجد الكهوف زاخرة بالرسومات على جدرانه وثقت حياة الإنسان في تلك الفترة معاناته، ميولاته، حاجياته.. والفن عامة لم يقتصر على الإنسان البدائي فقط، بل لازم كل العصور لما يحمله من رموز معبرة جدا عن ما يدور في خوالج الإنسان، فأبدع فيها و نوعها فنجد فنونا تشكيلية (التصوير الزيتي ، النحت ، العمارة ...) وفنونا تطبيقية (تصميم الملابس، المجوهرات...)، الموسيقى ... وغيرها من الأنظمة الرمزية اللامتناهية .

خلاصة المبحث :

في دراستنا للمنهج السيميائي توصلنا لمعلومات مهمة يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

- La sémiologie، و the semiotics كمصطلح هو مأخوذ من الجذر اللغوي اللاتيني sémion .
- السيميائية مأخوذة من الجذر اللغوي العربي "وسم"،"سيما" في القرآن الكريم .
- يوجد تشابه بين الجذر اللغوي اللاتيني و العربي كون كلاهما يحمل معنى العلامة .

1 – شهرزاد بوسكاية : الشخصية البطلة في أدب البطولة الجزائري ، محاضرة موجهة لطلبة ماستر 02 تخصص أدب جزائري ، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة ،2020 – 2021 ، ص 1 .

2 – سمية الهادي : أنواع الأسطورة ، محاضرة موجهة لطلبة ماستر 2 تخصص أدب عربي قديم ، معهد الآداب و اللغات ، قسم اللغة و الأدب العربي ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة ، 2020 – 2021 ، ص 2 .

– يتفق مصطلح La sémiologie و the semioties في كون كلاهما يهتم بدراسة العلامة ،و تختلفان في كون الأول يدرس العلامات اللغوية ،مركزا على الوظيفة الإجتماعية للعلامة المتكونة من دال و مدلول .

– أما الثاني يدرس العلامات اللغوية وغير لغوية، مركزا على الوظيفة المنطقية للعلامة المتكونة من دال ومدلول و مرجع .

وعليه نتوصل إلى أن المصطلح الثاني أشمل من المصطلح الأول .

– عرفت السيميائية العربية تنوع كبير وتشتت في المصطلح المعرب فنجد: سيميائية ،سيمالوجيا، علم العلامات ، علم الإشارة .....

وبهذا يكون مصطلح : sémion، وسيما (سيمياء) يعادل العلامة في حد ذاتها .

ومصطلح : sémiologie، semioties ، السيميائية ،علم العلامات، علم الدلالة يعادل تلك الدراسات التي تهدف لإستخراج العلاقة القائمة بين العلامات .

– إن النشأة المزدوجة لعلم السيمياء متراوحة بين النظرية السيميولوجية و السيميوطيقية أدت إلى ظهور عدة مدارس تدرس العلامة وفق نظريات سيميائية مختلفة، وهي محصورة بشكل عام في ثلاث إتجاهات هي:

الإتجاه التواصلي: العلامة عنده غرضها قصدية الإبلاغ و الإخبار .

الإتجاه الدلالي: العلامة عنده لا تخرج عن الحيز اللغوي فالدلالة لا يمكن استخراجها ما لم تكن داخل لنسق لغوي لأنه لا يمكن التعبير عن الفكرة دون توظيف اللغة.

الإتجاه الثقافي: العلامة عنده تستخرج دلالتها ورموزها من خلال الظواهر الثقافية، وهي أشمل من الإتجاه الدلالي الإتصالي، كونها تستخرج الدلالة من مختلف العلامات اللغوية والغير لغوية، كما يؤدي هذا الإتجاه وظيفة إتصالية .

الفصل الثاني :

الدراسة التطبيقية (مقاربة سيميائية لرواية " النهاية ")

هذا الفصل يشتمل على خمسة مباحث، كل مبحث اهتم بدراسة الرواية من جانب سيميائي مختلف على الآخر، بهدف استخراج الدلالات المتواجدة في هذا العمل الإبداعي، وكذا دراسة تلك العلامات ودلالاتها ومحاولة تأويلها، كون النص الروائي عبارة عن نسيج محكم يحتوي على علامات منها ما هو معتم لابد من إضاءته والكشف عنه لرصد كل التحولات المطروحة في هذا المنجز الروائي، وعلى هذا الأساس انضوى هذا الفصل على خمسة مباحث، وهي كالآتي :

المبحث الأول: سيميائية العنوان .

المبحث الثاني: سيميائية صورة الغلاف و ألوانه .

المبحث الثالث: سيميائية الشخصية :

أ- الشخصيات الرئيسية وأبعادها .

ب- الشخصيات الثانوية وأبعادها .

المبحث الرابع: سيميائية الزمكان:

أ- سيميائية الزمان .

ب- سيميائية المكان .

ج- علاقة الزمان بالمكان .

المبحث الخامس: المربع السيميائي .

المبحث الأول: سيميائية العنوان

يعتبر العنوان علامة سيميائية في غاية الأهمية، كونه يحيل على دلالات تفسر وتلخص محتوى الرواية التي وقع عليها الإختيار وعليه « أصبح العنوان عتبة هامة من عتبات النص ، فهو الرسالة الأولى التي نلتقطها من ذلك العالم الخفي بصفته عتبة أساسية تقحمنا في قراءة النص الأدبي بسلاسة، إذ بين العنوان و النص علاقة تكميلية »[1]، وتكمن أهمية العنوان في كونه لا يتم اختياره اعتباطيا، بل هو نابع عن قصدية المؤلف الحاملة لأفكاره وميولاته، والتي يستنبطها الحقل السيميائي مستخرجا بذلك العلاقة التي تربط العنوان بالمؤلف، والنص والمتلقي.

عند النظر إلى غلاف رواية حميدة شنوفي نجد العنوان ينقسم لشقين الشق الأول والرئيسي مكتوب بالخط العريض « النهاية » الذي يحيل على أن هذه الرواية جاءت لتضع خاتمة و قفلة للموضوع الذي أرادت الروائية طرحه في عملها هذا، و هذه الرواية بالفعل عبارة عن نهاية لأحداث رواية « ريح الجنوب » لعبد الحميد هدوقة الذي ترك نهاية روايته مفتوحة، وجاءت رواية « النهاية » لشنوفي لتعيد إحياء شخصيات بن هدوقة وتعطي لها خاتمة حسب تأويلها للرواية الأصلية، وهنا يأتي دور الشق الثاني في العنوان المكتوب بخط رفيع نحو: " في رواية ريح الجنوب لعبد الحميد هدوقة ".

وعليه فإن العنوان الذي اختارته حميدة شنوفي لعملها الإبداعي هذا تراوح بين نوعين من أنواع العنوان (عنوان حقيقي وتجاري) – حسب تصنيف ليهوك – فالشق الأول يمثل العنوان الحقيقي الذي هو عبارة عن « بطاقة تعريف تمنح للنص هويته »[2]، فيكون بذلك حمل وظيفة « إستدعائية حسب تسمية جريفر »[3]، المتمثلة في معرفة المتلقي لعنوان " النهاية "

---

[1] – رضا عامر: سيمياء العنوان في ديوان نصف الحلم يسرد نصفه الآخر للشاعر العماني ناصر العلوي ، مجلة آفاق للبحوث و الدراسات ، ع 3 ، 2019 ، ص 214 .

[2] – شادية شقروش: سيمياء العنوان في ديوان (مقام البوح) للشاعر عبد الله العشي ، الملتقى الوطني الأول : السيمياء و النص الأدبي ، (د ت) ، ص 270 .

[3] –بخولة بن الدين: عتبات النص الأدبي مقاربة سيميائية ، المجلة الدولية لأسيمات ، مج 1 ، ع 1 ، 2013 ، ص 139.

تؤدي به لإستدعاء مضمون هذه الرواية في ذهنه –ألا وهي تتمة لأحداث رواية ريح الجنوب– أما بالنسبة للشق الثاني فهو من جهة يشتمل على الوظيفة الإيحائية التي تحمل كلمات مفتاحية تسمح لسيميولوجي من معرفة الدلالات الرابطة بين العنوان، ومضمون النص الذي يحاكى رواية ريح الجنوب التي تعد من أهم الروايات الجزائرية كونها أول رواية كتبت بالعربية في الجزائر.

وكذا توحي له بمدى تأثر حميدة شنوفي برواية ريح الجنوب التي ساهمت في ولادة " النهاية "، وهذه الوظيفة « تثير الوظيفة الثانية الإغرائية »[1] فبمجرد قراءة أن هذه الرواية هي تكملة لريح الجنوب ذات النهاية المفتوحة تكفي لبث التشويق في نفس المتلقي المفترض وتحفزه للحصول على هذه النهاية، وبالتالي فالعنوان الذي اختارته الروائية حميدة شنوفي يحمل سمة مزجت دلالتها بين عنوان حقيقي له علاقة بالنص وعنوان تجاري يغري المتلقي للحصول عليه.

[1] – عبد النور بليصق: عنوان المداخلة * سيميائية النص الروائي في الأدب الجزائري الحديث * قراءة سيميائية لرواية الشهداء يعودون هذا الأسبوع لطاهر وطار أنموذجا ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، (د ت)، ص 05 .

المبحث الثاني: سيميائية صورة الغلاف وألوانه :

غلاف الرواية يحمل العديد من الدلالات والتأويلات التي تساهم في فهم مضمون النص وتوجيه القارئ، الأمر الذي جعل المنهج السيميائي يهتم بدراسة صورة الغلاف من منطلق أن «سيميولوجيا الصورة تشتغل جنبا إلى جنب مع سيميولوجيا الموضوعات اللسانية باعتبار الصورة في حد ذاتها تحمل إشارات كتابية مضمنة» [1].

كما أنه « إذا كان الغلاف هو واجهة العمل الأدبي، الذي يحوي مضمونه ، فهو يحوي بالضرورة عناصر ليست أيقونية فحسب، بل إن اسم المؤلفة، وجنس الكتابة (رواية)، وعنوان الرواية تشكل عناصر لسانية في الخطاب نفسه، فإذا ظل المعنى خفيا بين طيات الصور والتباسها فإن هذه العناصر تضيف للقارئ اقتراحات واضحة المقاصد – إمكانية إضافية لفهم النص الأدبي – .»[2]

إضافة إلى أن النص الروائي يتسم بخاصية إنتاجية دلالية حيث أنه « قادر على خلق فضاء متعدد الدلالات، حيث تتلاقى العلامات اللفظية وغير اللفظية، ومنها العلامات الأيقونية وتحديدا الألوان »[3] ، الأمر الذي يجعل القراءة السيميائية لدلالات التي تحملها الألوان في غاية الأهمية كونها تساهم هي الآخرى في استنباط التأويلات المتواجدة على مستوى غلاف الرواية .

إن غلاف رواية " النهاية "لحميدة شنوفي يجعل المتلقي/ القارئ يطرح العديد من الأسئلة كون هذا الغلاف يحمل العديد من التأويلات الدلالية خاصة عند قراءته لصورة الغلاف قراءة بصرية، فأول ما تنتبه إليه العين صورة امرأة مرتدية الأبيض، وترتسم على وجهها ملامح دالة

---

[1] – لعموري زاوي : " برق الليل " بين شعرية العنوان و فتنة العنوان ، مجلة الخطاب ، ع 9 ، 2011 ، ص 88 .

[2] – فطيمة الزهرة بايزيد : التشكيل الجمالي لصورة الغلاف و العنوان (دراسة سيميائية) ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر ، معسكر ، ص 142 .

[3] – خولة محمد الوادي : قراءة سيميائية لأنظمة الألوان في نماذج قصصية ، دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، مج 45 ، ع 3 ، 2018 ، ص 16 .

على الهدوء والسكينة تارة ، وملامح دالة على الحزن تارة آخرى، وفي الغالب هذه الأنثى هي نفيسة بطلة الرواية في عمل حميدة الشنوفي كما كانت في عمل عبد الحميد بن هدوقة بما أنها تتمة لعمله الإبداعي .

وربما ذلك الهدوء نابع عن النتيجة المرضية التي توصلت إليها نفيسة والمتمثلة في تحقيق حلمها، أما الحزن فهو نابع عن حال قريتها المتدهورة سواء على الصعيد الإقتصادي، الفكري ...

ثم يتضح لنا المشهد الذي خلفها وهو عبارة عن صورة تحتوي على بيوت ذات بنية بسيطة محيطة بحشيش وأشجار يكتسيها اللون الأخضر والبني، ونجد كذلك حافلة زرقاء متجهة نحو الطريق مجهول ، هل هذه الحافلة ذاهبة أم آتية ؟!

وهذه الصورة بسيطة كبساطة الريف لذلك نرجح أنها القرية التي ولدت فيها نفيسة، وهذه القرية موضوعة بعناية فوق رأس الأنثى (نفيسة) وكأنها رسالة مبدئية مشفرة أرسلتها الكاتبة لقارئ روايتها كي يفسر دلالاتها و يفك رموزها كي يتمكن من إيجاد العلاقة بين هذه الصورة ومضمون النص الروائي .

وبما أنها رواية مكملة لرواية ريح الجنوب فالمتطلع على ريح الجنوب يجد بين يديه احتمالين أو قراءتين دلاليتين:

– الأولى: هذا الغلاف يخبرنا أن نفيسة ترغب في الحصول على بعض الهدوء بسبب الضجيج الذي تعاني منه داخل ذهنها نتيجة لكثرة تفكيرها في قريتها التي طالما نفرت منها ومن عادات وتقاليد أهلها، وأن كل ما يشغل بالها هو الرحيل عن هذه القرية عبر تلك الحافلة الزرقاء،لأن خطتها السابقة للهرب فشلت فشلا ذريعا .

– الثانية: إن هذه الملامح تدل على أن نفيسة في الأخير تمكنت من الحصول على السكينة ووجدت ضالتها داخل هذه القرية التي ترعرعت فيها، وأدركت قيمتها وتصالحت بذلك مع ذاتها

وأهل قريتها وتلك الحافلة دلالة على أن نفيسة متجهة نحو القرية وليس العكس، وبذلك تكون هذه القرية هي وجهتها الأخيرة التي مدتها بالطمأنينة .

أما المتطلع على رواية " النهاية " يجد أن مضمونها وغلافها وعنوانها عبارة عن سلسلة محكمة كل عنصر منها يخدم الآخر ويساهم في إيضاح الرؤية، فيصبح هذا الغلاف حاملا لدلالات عدة ترمز لمضمون الرواية .

هذه الأنثى هي نفيسة تعترى ملامحها علامات الراحة، لأنها تمكنت حقيقة من تحقيق حلمها، أكملت دراستها، وأصبحت أستاذة جامعية في معهد الآداب، وتزوجت بزميل لها وأنجبوا طفلين وولد: « مرت الأعوام بسرعة هاربة... لم أشعر بمرورها الخاطف والسبب انشغالي بالدراسة ، التي كانت حلمي الواقعي الوحيد الذي حققته .» [1]

« أعلمكم أني تخرجت من الجامعة، وقد تحصلت على شهادة عليا في الماجستير، لكنني آثرت أن أتم دراستي فتحصلت على رسالة الدكتوراه في الأدب العربي .» [2]

« كل ما يمكنني أن أطربكم به أني تزوجت برجل رائع (رضا) كان أحد زملائي في المدرسة، رجل متخلق، يعاملني معاملة حسنة، لا أجد معها تذمرا لحياتي الجديدة التي اخترت، دون البقاء في القرية، والحمد لله، أكملنا دراستنا الجامعية سوية، وقد رزقت منه بطفلتين وولد» [3] وغيرها من المقاطع السردية الدالة على ذلك .

لكنها في نفس الوقت لم تحضى بالهدوء الذي كانت تأمل إليه، لأنها بقيت رهينة الماضي والذكريات، فلم تتمكن من تخطي الريف ولم تنسى أهل قريتها لذلك وضعت الروائية صورة القرية فوق رأس نفيسة كدلالة على مل يجول في خاطرها .

---

[1]– حميدة شنوفي : النهاية في رواية " ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة ، دار الخيال للنشر و الترجمة ، برج بوعريريج ، الجزائر ، دط ، 2019 ، ص 147 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 148 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 149 .

« فمن يصدق أني قد أحن لمكان كنت أصفه بالمنفى، سواء صدقتموني أم لم تفعلوا، هذا ما بات يختلج روحي وكأني بتلك الليلة أفقد أحد أعضائي، و كأني أنس جزء من كياني فيها، بت أشعر أن العاصمة قد ضاقت علي بما رحبت، ورغم اتساع شوارعها وطول طرقاتها وصخب المارة فيها، إلا أنني أشعر بوحدة قاتلة، ربما لم أشعر بمثلها وأنا أقيم بينكم .» [1] .

كما أن هروبها من الريف إلى العاصمة بغية إتمام دراستها، ترك صدع في ذاتها؛ لأنها تعي مدى الضرر الذي تسببت فيه دون قصد منها « أعراض حزني وأنا قد عدت إلى حيث أنتمي – العاصمة –، لا زالت تفتك بي، وكأني ارتكبت معصية لا غفران لي فيها، ولا توبة لي بعد هذا الذنب » [2]

أما الحافلة فهي مِؤشر دال على التحول والإنتقال الذي حدث في نفسية نفيسة، حيث أصبحت متمسكة بتقاليم دينها أكثر من ذي قبل « وسواء صدقتم أم لا، فإني بت أصلي، ولم أذكر أني تركتها يوما فريضة كانت أو نافلة، فهذه كانت رغبة أمي، ولا أنفك أذكر إلحاحها علي حتى أمارسها، بل لم أعد أفعل شيئا أقل مما كانت تنصحني به، هي و الخالة رحمة على حد سواء لأني صدقا تعودت الشعور معها بالطمأنينة والراحة، وما أندم عليه حقا، هو وقت لم أكن أعطيها أهمية أكثر مما كنت أمنحه لرغبتي في العيش في العاصمة والدراسة فيها »[3]

إلا أن هذه الحافلة حملت رمزا آخر دالا على نهاية نفيسة التي لقيت حتفها في تلك الحافلة المتجهة نحو قريتها هي ومجموعة من الأساتذة الراغبين في تحسين أوضاع القرية ونشر العلم فيها، فكان سبب وفاتها جماعة إرهابية تستهدف التعليم والمعلم : « اليوم وأنا أعود إلى مسقط رأسي وأنا أمر في ذات الطريق... بعد وميض ذلك النور القاتل... فلم تهب ريح تطفئه بل زادته اتقاد ...عندها فقط أدركت أنها النهاية .» [4]

---

[1] – المصدر السابق، ص 11 .

[2] – المصدر نفسه، ص 12 .

[3] – المصدر نفسه، ص 12 .

[4] – المصدر نفسه، ص 153 .

« بلغنا في الساعات القليلة الماضية نبأ ... تصاعدت عمليات الاغتيال... وقد كشفت ذات المصادر أن من بين الضحايا المجزرة على غرار خمسة معلمات تم التأكد من هوياتهن معلمة تدعى (نفيسة عابد بن القاضي)... ستدفن في مقبرة الشهداء، بجانب قبر أختها... شهيدتان تزفان إلى قبور الواجب الوطني .»[1] ، فكيفما ولدت في تلك القرية، عادت إليها بعد سنوات طويلة كي تدفن فيه وسط عائلتها وأهل قريتها، عادت كشهيدة وطن .

- دلالة الألوان في صورة الغلاف :

حمل اللون دلالات عدة اختلفت باختلاف الألوان، بل اللون الواحد قد تختلف دلالته على حسب موضعه فالأحمر مثلا كما يدل على الحب يدل أيضا على الدم والحرب. « وقد احتلت الألوان منزلة مميزة منذ القدم، فكانت الأساس لكل الأعمال الفنية التي تصور حياة الإنسان في مختلف ميادينها »[2]

وعلى هذا الأساس حظيت هذه الألوان بمكانة هامة في الدراسات السيميائية السردية، لأن الأوان الموجودة في العمل الروائي تأتي لتعبر عن دلالات معينة لها علاقة وثيقة بمضمون النص، وعلى هذا النحو تعد الأوان رموزا دالة، و« أصبحت توظف من أجل التعبير عن الواقع والخيال والحالة النفسية و المزاجية . »[3]، و غيرها .

لأن هذه الألوان « تعتبر من أهم العناصر التي تشكل الصورة الأدبية لما تشتمل عليه من شتى الدلالات الفنية، الدينية، النفسية، الإجتماعية، الرمزية والأسطورية ..» [4]، وغلاف

---

[1] – حميدة شنوفي: النهاية، المصدر السابق، ص 154– 156 .

[2] – كلود عبيد : الألوان (دورها ، تصنيفها ، مصادرها ، رمزيتها ، و دلالتها) ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2013 ، ص10 .

[3] – سارة رماضنية : دلالات اللون في الديكور السينمائي فيلم التيتانيك أنموذجا للمخرج جيمس كاميرون ، شهادة دكتوراه ، تخصص سينوغرافيا فنون العرض ، كلية الآداب و اللغات والفنون ، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس ، 2018 ، 2019 ،ص 57.

[4] – كريم شلال الخفابي: سيميائية الألوان في القرآن ، دار المتقين للثقافة و العلوم و الطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2016 ، ص 117 .

رواية " النهاية " مزج بين عدة ألوان فمنها ما هو أبيض، وبني (داكن وفاتح) – هذه الألوان اكتسحت أغلب مساحة الغلاف – كما نجد اللون الأسود، والأخضر، والأزرق ، لذلك رأينا أن ندرس هذه الألوان دراسة سيميائية لاستخراج دلالاتها ورموزها:

– اللون الأبيض هو لون « يرمز للصفاء ، والأمل، وحب الخير ...» [1].

وفي غلاف هذه الرواية نجد نفيسة مرتدية الأبيض، وكأن الروائية تخبرنا أن نفيسة تحمل نوايا سليمة، وإنها لم ترد الضر لأي إنسان، فهي فقط أرادت أن تجعل لنفسها مستقبل أفضل لأنها تستحق الأفضل، إضافة إلى أن ارتداء الثوب الأبيض هو كناية عن نقاء قلب ذلك الشخص ودلالة على طهارته ،لأن اللون الأبيض هو رمز للخصال الحميدة في هذا الغلاف.

ارتداء نفيسة للأبيض يختصر أغلب الصفات التي تتحلى بها شخصيتها، ففي التعريف الخاص باللون الأبيض نجده يرمز للصفاء، وفي الرواية نجد نفيسة تحمل نية صافية فهي لم تقم بالإساءة لأي شخص، كما نجد الأمل وحب الخير فنفيسة تمنت الخير لأهل قريتها، وأملت للرجوع إليها رغم المدة الطويلة من التردد.

تجسدت صفات اللون الأبيض في الرسالة التي أرسلتها نفيسة لمالك « صنيعكم لن أنساه ما حييت، فلا أنا من ذوات نكران الجميل ولا عهد لي بمثله .» [2] « مرت أعوام من رحلت من تلك القرية، لكني قد بت أشعر بحنين غريب إليها، ما لبث أن استولى على كل إدراكي ...» [3]، « أدعو الله في كل صلاة أن تكونوا على أحسن ما يرام . » [4]

وكذا : « سأكرس وقتي من أجل مدرسة القرية . »[5]

---

[1] – تيسير بريكوس، فاديا سليمان: سيميائية اللون في شعر الماغوط ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ع24 ، 2017 ، ص35 .

[2] – حميدة شنوفي ، المصدر السابق ، ص 11 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 11 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 12 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 148 .

وغيرها من المقاطع الموحية لصفات اللون الأبيض الذي يتوافق وصفات شخصية نفيسة.

– اللون البني هو ثاني أكثر الألوان إنتشارا في غلاف الرواية، فنجد اللون البني الداكن، والبني الفاتح .

– اللون البني الداكن يرمز هنا للطبيعة، التربة، الأرض، وهذه الرواية تتحدث عن المرأة والأرض، وجعلت منهما عنصرين أساسيين، وبالتالي رمز اللون البني الداكن للأرض التي لعبت دورا مهما جدا في توجيه مسار هذه الرواية، فبسببها أراد عابد بن القاضي تزويج ابنته نفيسة رغما عنها لمالك شيخ البلدية مما أدى بنفيسة للهرب من أبيها الظالم الإنتهازي الذي يرى أن الأولاد ما هم إلا وسيلة لخدمة غايته، وتزويج نفيسة لمالك يخدم مصالحه الشخصية، ويضمن له الإبقاء على أراضيه حتى لو صدر قانون الإصلاح الزراعي والتسيير الذاتي للأراضي .

بالإضافة إلى أن اللون البني يرمز لحب أهل القرية لهذه الأرض وخدمتهم لها وتمسكهم بها بالرغم من صعوبة الأمر، وقسوته خاصة بسبب افتقارهم لأدوات فلاحية متطورة، فكل ما يمتلكه أغلبهم أدوات فلاحية بدائية يحرثون بها أرض ليست ملكا لهم، ومع ذلك لم يتخلوا عن هذه الأرض الصعبة التي تفتقر لأبسط الوسائل والمقومات التي توفر العيش الكريم .

كما يتجسد هذا الحب في محاولة تطبيق سياسة فلاحية جديدة في الجزائر والتي تتمثل في قانون التسيير الذاتي، وجهود مالك لجعل هذه الفكرة مجسدة على أرض الواقع وفي تلك القرية « لابد لقانون كهذا أن يسن، ففوضى امتلاك الأراضي قد عمت أرجاء الوطن، وقد درست في المدرسة في مادة التاريخ، والجغرافيا، أن كل أراضي القطر الوطني غير ممسوحة، وأن خروج المستعمر منها ما جعلها شاغرة، فامتلكها البعض تحت شعار أن الأرض لمن يخدمها، فعمت الفوضى على هذا الأساس لذا وجب تدارك الأمر .» [1]

[1] – المصدر السابق ، ص 140 .

وبهذا يكون اللون البني يرمز لكفاح هؤلاء من أجل الحفاظ على أرضهم وخدمتها بأفضل شكل ممكن، وهذا الكفاح لا يقتصر على فترة الإستعمار، و الثورة بل شمل فترة ما بعد الإستعمار أيضا .

وذلك ناتج عن وعيهم لمتطلبات هذه الأرض الطيبة التي تعطي لمن يتفانى في خدمتها، ويحسن إستثمار ثرواتها :« لو تحدثت الأرض لبصقت كل هؤلاء... من يفكر بامتلاكها على أنها مصدر قوة و استحواذ ستتقيؤه لا محالة كما تقيأت المستعمر الفرنسي قبلا .» [1]

« لأنها لا تحس إلا بمن يحبها لأنها الوطن، لو كان لها حق الاختيار لفضلت من يعتني بها على من يمتلكها لأجل التملك فحسب »[2]، وهنا إشارة لسلطة الإقطاعيين أمثال عابد بن القاضي .

– أما البني الفاتح فهو عادة ما يدل على الود، الدفئ، الصدق، الصمود... واختارت الروائية أن تجعل من هذا اللون رمز من رموز صفات نفيسة لأنها اختارته ليكون لون بشرتها، لون وجهها، و كأنها تقول لنا أنظروا لهذه الفتاة الجميلة البريئة ذات الملامح الدافئة التي تبث الطمأنينة في نفس الناظر إليها .

وكأنها تخبرنا أن تمرد هذه الأنثى هو تمرد لا بد منه حتى تتخلص من القيود الضارة والسلطة الذكورية المبالغ فيها، وكأنها تخبرنا عن مدى قوة هذه الأنثى التي ظلت صامدة أمام كل التحديات مهما كانت نسبة صعوبتها وقسوتها، بل و كانت أهل لها .

وكأنها تخبرنا كل ما مرت به نفيسة لم يجعلها تفقد هويتها بل وجدتها، وفي نفس الوقت ظلت محافظة على ذلك الود الذي سطع من خلال ملامح وجهها ولون بشرتها البني الفاتح والمقاطع اللآتية ما هي إلا دلالة على أن تمرد نفيسة كان في محله: المرأة والأرض « هذان الشيئان اللذان كان ليفعل أي شيء حتى يبقيهما تحت سلطته، خاضعتان لإمرته، ولا تنفذان إلا

[1] – المصدر السابق ، ص 116 – 117 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 116 .

ما يريده، فقط لأجل سلطة الأرض كان متحكما في المرأة »[1] فهي التي تحتم عليها « أن تكون قربانا لشجع والد متجبر »[2]، ومع ذلك فإن قلب نفيسة لم يتلطخ بالأسود وحافظت على نقائها فحين شاهدت أبيها ملقى على الأرض وسط بركة من الدماء حن قلبها ونسيت كل شيء في تلك اللحظة، فكانت حياة أبيها أهم من كل شيء .

ويتجلى ذلك في :« لو لا إسعاف نفيسة له في الوقت المناسب لكان الآن في عداد الأموات، فقد أخذت ما كانت تلف به رأسها وربطت مكان الضربة حتى لا ينزف والدها من الدماء ما قد يفتك به »[3] وغيرها من المواقف الدالة على معدنها الطيب.

– اللون الأسود:

هو سيد الألوان عادة ما يدل على «الظلمة والعتمة، الغموض، الموت، الدمار، الشر، المهانة »[4]

كما أنه « يشير إلى الإصرار على عدم الإضطرار إلى التنازل»[5]، بالإضافة إلى صفات أخرى اقترنت باللون الأسود كالتمرد، الجرأة ، الخوف، الحزن، الشموخ، الكبرياء، الثقة بالنفس... غيرها، فهو لون يحمل رموز ودلالات إيجابية وأخرى سلبية في غلاف رواية النهاية نجد أن العنوان كتب باللون الأسود كرمز على سوداوية المشهد الأخير، فاللون و اللفظ هنا يتوافقان من حيث الدلالة.

كما جعلت منه رمزا معبرا عن ذلك الحزن الذي توغل في قلوب أهل القرية بسبب فقدانهم لأرواح أناس ذو مكانة غالية ، وكذا بسبب حياة الفقر التي فرضها عليهم الإقطاعيون،

---

[1] – المصدر السابق، ص 39 – 40 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 40 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 29 .

[4] – ينظر: هدى أيت شقديد: دلالات الألوان في الأمثال الشعبية الجزائرية، مجلة تاريخ العلوم، ع8، ج2، 2017، ص 70 .

[5] – خيبر بيرين: الألوان والاستجابات البشرية، ترجمة صفية مختار، الناشر مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، د.ط ، 2017 ، ص 157 .

فنجد مثلا مالك الذي عاش في حزن رتيب لسنوات بسبب فقدانه لخطيبته زليخة بسبب انفجار القطار، ويجسد اللون الأسود هنا في حزنه الدائم ومحاولته « صد حالة الإشتياق التي كان يعيشها والهوس بإعادة الزمن إلى الوراء حتى يغير قدر موتها بسبب كان له يد في حدوثه حتى تعود إليه الابتسامة التي لم تزر شفتيه منذ ذلك الزمان .» [1]

ويحمل هذا اللون دلالة على الخوف الذي جسدته الأم في أحسن صورة فنجد خوف خيرة على ابنتها الوحيدة نفيسة « كانت خيرة غارقة في مخاوفها تأخذ بها فكرة إلى قاع مظلم وتغرقها أخرى في بحر من التساؤلات، وقد كان النظر في وجه زوجها المكشر حتى وهو نائم يتلوى من سخطه ينبئ بأنه لن يغفر لابنتها ذلك إلا إن كان قد قتلها و انتهى الأمر .» [2]

وكذا الهلع الشديد الذي مر على أم رابح حين رأت عابد بن القاضي يذبح ابنها الوحيد « فما مر عليها ليلة أمس لم تشهد هلعه حتى في أيام الثورة و لم تسمع عنه، وكما أخذت ظروف سيئة خاصية النطق منها أعادت ظروف أصعب الخاصية ذاتها، ما أثار في نفسها الخوف حتى لم تعد تقوى قدميها على حمل جسمها » [3]

إلا أنه في نفس الوقت رمز لقوة أم رابح التي حافظت على ثباتها ولم تنهار أمام ذلك المشهد السوداوي :« كانت أم رابح قد خرجت منذ الصباح الباكر إلى الأحراش... لجلب بعض النباتات التي تداوي الجراح البالغة... بعضها من الجبل وأخرى من حواف الوادي أسفل التل... كانت تصعد أحراشه في إعياء جاء بسبب سنها، لكن إصرارها في علاج ابنها وهدوء رياح الجنوب حينها، ما أمدها بالقوة حتى تسلك كل تلك المسافة للبحث عن بعض الأعشاب النادرة.» [4]

---

[1] – حميدة شنوفي، المصدر السابق ، ص 40 .

[2] –المصدر نفسه، ص 34 .

[3] – المصدر نفسه، ص 35 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 35 .

كما تجسد اللون الأسود في صفة الوحدة التي عانت منها نفيسة أثناء إقامتها في العاصمة « تذكرت عجوز رحمة ورددت في نفسها أن لو كانت حية ترزق الآن، للجأت إليها ... فلطالما كانت في نظرها امرأة حكيمة وصاحبة رأي ومبدأ، ولطالما كانت تعتني بها وتنصحها، وتدافع عنها أمام والدتها »[1]

« فكنت كلما ناديت أحدهم باسمه، أعقبه شعور لذيذ بالقرب والسكينة من عائلة تركتها يوما» [2]

وكذا صفة التمرد، والجرأة التي دلت على اللون الأسود، و نلتمسها في شخصية– البطلة – نفيسة من خلال هروبها من القرية إلى العاصمة بسبب رفضها لحياة ظالمة.

ويتجسد ذلك في قولها « كم الحياة قاسية، حين لا تمنح لنا خيار تقرير مصائرنا كيفما نشاء »[3]، وكذا ترديدها لعبارة :« الحرية الممنوحة تشبه خبز الصدقة... باشرت تجمع أشيائها وتغطي رأسها ببرنس... يظهرها على هيئة رجل»[4]، فنفيسة كما أجادت تجسيد اللون الأبيض تمكنت أيضا من تجسيد دلالات اللون الأسود .

كما يتجسد هذا التمرد في شخصية عبد القادر أخ نفيسة، الذي هو الآخر، الذي اختفى هو الآخر واختفائه هو أكبر رمز يدل على اللون الأسود، فهو لم يرمز للتمرد فحسب بل يرمز أيضا للموت والشر، وكان من الأسباب المؤدية لخوف أهل القرية .

فخان عبد القادر لوطنه وأهله وشعبه حين قرر توجه نحو الجبل والإنضمام إلى الجماعة الإرهابية « إمكانية صعوده للجبل قد أحدث في نفسي شرخا كبيرا.. لو كنت بجانبه ... لمنعته من إرتكاب خيانة عظمى تجاه الوطن .» [5]

---

[1] –المصدر السابق ، ص 21 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 149 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 17 .

[4] –المصدر نفسه ، ص 43 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 150 .

« لم يمض وقت طويل منذ تمت عملية اغتيال شنعاء في إحدى القرى المجاورة، أين ما يزال الناس يتحدثون في موضوعها، رغم مرور الكثير من الوقت، وقت كان ليجعلهم ينسون ما ألم بهم ويفكرون في القادم الأتعس... فمن استطاع الرحيل إلى مدن أكثر أمنا لم يتوانى للحظة، ومن لم يكن باستطاعته ذلك رضخ لمصيره المحتوم .»[1] فانعدام الأمن والطمأنينة في القرية هو أمر أفقد للحياة لذتها، فكون الإنسان يتنفس لا يعني بالضرورة أنه حي بل هو يعيش حياة باهتة لا لون لها ولا طعم.

ومن أكثر المشاهد التي تحمل دلالات سوداوية يتمثل في مقتل نفيسة على يد أخيها الإرهابي عبد القادر « وأكد ذات المصدر أن قائد الجماعة الإرهابية هو أخ أصغر لواحدة من المغتالات (نفيسة) أين لم يتعرف عليها وسط الصراخ والهلع الذي أحدثه الركاب وهم يتعرضون للاغتيال .»[2]

دون أن نهمل الجانب الإيجابي الذي يرمز له اللون الأسود المتمثل في: الثقة بالنفس، الإعتزاز بالنفس، الكبرياء، الوقار..، وهذه الصفات يمثلها مالك شيخ البلدية، فكلما كان من الأوائل اللذين نهضوا ضد المستعمر، كان من الأوائل في التصدي للفساد والظلم الذي ساد في فترة ما بعد الاستقلال، نتيجة جشع الإقطاعيين وانتهازيتهم، وعمل جاهدا لنشر العدل وإصلاح الأضرار التي عانت منها القرية، قدر استطاعته، متحديا كل من حاول رشوته للعدول عن قرارات هامة كالإصلاح الزراعي والتسيير الذاتي للأراضي ...

« فالأرض بالنسبة له خط أحمر لا ينبغي تعدية حتى ولو كان القرار الذي سيتخذ بشأنها قد يحول دون إستمرار الحياة الرغيدة التي كان يعيشها البعض، إذ أن الجميع سيغدون متساوين، فالكل سيعمل تحت قانون محكم وصارم .» [3]

---

[1] – المصدر السابق ، ص 13 – 14 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 156 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 64 .

« كان مالك قد ذهب إلى القرية و كله ثقة بأن ما أتى من أجله سيقلب الموازين رأسها على أعقابها، وأن ما كان يخاف منه البعض قد بات جائز الحدوث .» [1]

وغيرها من الإقتباسات الدالة على جمالية اللون الأسود .

- اللون الأخضر:

هو لون دافئ يدل على معاني وصفات عدة فنجده يرمز :« إلى الخصب، والنماء والتجدد .» [2] كما يرمز « للأمل و الخير والراحة النفسية »[3]، ويعد من أحد الرموز الدالة على الطبيعة، وعليه فاللون الأخضر يحمل في غالب الأحيان دلالات إيجابية .

وفي غلاف الرواية جاء حامل لدلالة الوطن، ومعبرا عن الأمل الذي يعيش في نفوس المغلوبين على أمرهم، منتظرين الفرج والتخلص من قيود الإقطاعيين وانتهازيتهم وجشعهم الذي لا حد له .

كما رمز هذا اللون لحب الخير الذي نجده مغروس في نفوس أهل القرية وغالبا ما يكونوا فقراء، إلا أنهم يتمتعون بكرم يفوق كرم الأغنياء، فتجسدت دلالات اللون الأخضر في كرم رابح وأمه اللذان لم يبخلا على نفيسة، وتشاركوا معها كل ما ملكوه رغم قلته، وكانوا أول من بادر في المساعدة، ورحبوا بنفيسة في وقت ضعفها، وجعلوا من كوخهم الصغير الفقير الخالي من أبسط وسائل الراحة، مصدر أمان لنفيسة « كانت تدعوا الله... أن لا يصيب الراعي وأمه البكماء سوء، لأن ما لمسته من طيبة وتفهم ناحيتهما، كان أقوى من أن لا يجعلها تنشغل بالا على حالهما»[4] ونلتمس أيضا هذا الخير وتلك الطيبة في الشيخ المصاب بمرض

---

[1] – المصدر السابق ، ص 65 .

[2] – محمد ناقاني أصفهاني، داود نجاتي : التوظيف الفني في سيميائية الألوان عند ابن الرومي، اللغة العربية وآدابها ، جامعة أصفهان، د.ت ، ص 36 .

[3] – حنان عبد الفتاح محمد مطاوع: الألوان و دلالتها في الحضارة الإسلامية مع تطبيق على نماذج من المخططات العربية مجلة الإتحاد العام للآثار بين العرب ، ع18، د.ت ، ص 424 .

[4] – حميدة شنوفي: المصدر السابق ، ص 21 .

الزهايمر وابنته التي استقبلت نفيسة في منزلها هي الأخرى رغم ضعف إمكانياتهم المادية، إلا أنها كانت كريمة، خلوقة، حرصت على تغذية نفيسة، وأمدتها بالراحة النفسية التي غابت عن نفيسة لمدة طويلة :

« انزاحت نفيسة عن صمتها ، فتحولت إلى فتاة صغيرة تشكو كل ما عانته من أحداث قاسية ... رغم أنها لم تفعل ذلك مع والدتها قط . »[1]

« أحست نفيسة أنها حملا ثقيلا قد انزاح من على صدرها وهي تسرد كل تلك الأحداث التي ... من كثرتها لم تعد تستطيع التحمل ، فقد انفجرت تبوح بها للمرأة دون أن تدري إن كانت ستحفظ هذه الأخيرة أسرارها و تتفهم معاناتها، وإن كانت ستساعدها على الخروج منها كما سبق وساعدها الراعي ووالدته »[2]

ناهيك عن فاعل الخير المجهول الذي كان يضع كيسا فيه طعاما أمام منزل العجوز رحمة الذي اتخذت منه نفيسة مكان للإقامة المؤقتة حتى تجد وسيلة للسفر إلى العاصمة .

وللون الأخضر دلالات أخرى جسدتها الروائية في شخصية مالك شيخ البلدية ومناصريه أمثال المعلم الطاهر، فهؤلاء يعيشون على أمل النهوض بوطنهم وبناء واقع جديد، ومستقبل يوفر العيش الكريم لأبنائهم وأحفادهم وما يليهم من أجيال أخرى قادمة .

ولن يتحقق ذلك الأمل الجميل إلا إذا تم القضاء على الطبقة الإقطاعية، وإعطاء فرصة عادلة ومتساوية للشعب ككل، الأمر الذي يساهم في النهوض بالبلد والحد من ظاهرة الفقر، ولا شيء في الكون قد يمد لهؤلاء بالراحة النفسية من غير تحقيق هذا الهدف السامي البريئ من المصالح الشخصية ومظاهر الفساد.

فالخطاب الذي ألقاه مالك على أهل القرية خير دليل، حيث صرح : « قد آن أوان وضع النقاط على الحروف، وتشكيل واقع تحكمه قوانين صارمة لا ظلم حسب اعتقادي كرجل يمثل

[1] – المصدر السابق، ص 27 .

[2] – المصدر نفسه، ص 28 .

سلطة ولو محدودة في هذا الوطن قد يضركم... فقد كنت وما أزال أحب هذه الأرض وكأنها أم ولدتني، وما أتمناه لكم صلاح أحوالكم عيلكم... وتساويكم في الحقوق والأعباء »[1]

وبناءا على ما سبق نجد أن اللون الأخضر في غلاف الرواية " النهاية " كان دالا على بعض الصفات التي يرمز لهل عادة اللون الأبيض .

- اللون الأزرق:

إن الدلالات التي يحملها مختلفة و متنوعة بين ما هو إيجابي وآخر سلبي على حسب درجاته المختلفة وعلى هذا الأساس « لم يتحدد مدلول الأزرق عند العرب بل تداخل مع آخر ألوان أخرى كالأبيض والأخضر، كما أن درجاته تتفاوت تفاوتا كبيرا»[2]، ذلك لقربه الشديد من اللون الأبيض تارة، ومن الأسود تارة أخرى .

والدلالات التي رمز لها اللون الأزرق في الغلاف وهي مختلفة كوننا نجده يتراوح بين ما هو فاتح و آخر داكن قليلا، فكان « اللون الأزرق هو الحلم الجديد الذي بدأ يلوح في الأفق بعد نضالات، وإرهاصات ومخاضات عسيرة . » [3]

وهذا الحلم هو حلم نفيسة المتمثل في عودتها إلى القرية والمساهمة في الإعلاء من شأنها وكذا نشر العلم فيها، ومشاركتها لكل ما نهلته من معارف طيلة مسارها الدراسي والتدريسي في الجامعة الجزائرية .

ويشترك معها في هذا الحلم " الطاهر " الذي كرس هو الآخر عمره ومعارفه لتعليم أبناء قريته إلى أن وافته المنية، وبهذا يكون لصفات اللون الأزرق – خاصة الفاتح منه – والأبيض دلالات مشتركة .

---

[1]– المصدر السابق، ص 69 – 70 .

[2]– نجاح عبد الرحمن المرازقة : اللون و دلالاته في القرآن الكريم ، شهادة الماجستير في الأدب ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة مؤتة عمادة الدراسات العليا ، 2010 ، ص 27 .

[3]– فاطمة الزهراء بايزيد ، المرجع السابق ، ص 174 .

وفي هذه الرواية نجد اللون الأزرق المتمثل في لون الحافلة التي ماتت فيها نفيسة جراء الفعل الإجرامي الذي قامت الجماعة الإرهابية، وعلى هذا الأساس تتغير دلالته من الإيجابي إلى السلبي وفي هذه الحالة يصبح اللون الأزرق – خاصة الداكن – يحمل الصفات الدالة على الشر والدمار... وغيرها من الصفات التي يشترك فيها هذا اللون باللون الأسود.

المبحث الثالث : سيميائية الشخصية

إن العمل الروائي الفني يقوم على عناصر عدة، أهمها الشخصية التي لا يمكن لموضوع الرواية أن يتحقق من دونها، ولهذا « اهتم علماء السيميائيات بالشخصيات في العالم السردي لما تمثله من أهمية في البناء الحكائي، فهي إحدى البنيات المكونة لخطاب الرواية وقد عدها فيليب هامون العلامة التي تقوم ببناء الموضوع »[1]

كما أن احتواء الشخصية على مساحة هامة في الدراسة السيميائية راجع لتنوع الشخصيات وتعدد توجهاتها، الأمر الذي ينتج لنا تأويلات دلالية مختلفة باختلاف الشخصيات وانتماءاتهم « فالمؤلف يسند إلى شخصياته رتبة محددة حين يجعل منها شخصيات رئيسية وأخرى عابرة، وهذه بالضرورة أصبحت من القوة بحيث أن القارئ يبحث بالفطرة عن هذه التراتبية بين الشخصيات »[2]

حيث أنه لا يمكن تأليف عمل أدبي فني يتكون « من شخصيات متفقة في ميولها وأفكارها، وغاياتها فلابد من تصارع نوازع الشخصيات، وتناقضها، على ألا يضر هذا التناقض بضرورة تعاونها وتضامنها معا، وهذا أقوى معنى إجتماعي تنفرد به الأجناس الأدبية والفنية فكل شخصية من شخصياتها في عالمها الصغير، ذات دلالة حتمية على لمعنى إجتماعي ونزعة إنسانية .»[3]

وتعد خاصية الثبات والتغير هي التي منحت للشخصية ذلك التميز الذي سمح للدارس / المتلقي بتصنيف الشخصيات إلى شخصية « سكونية وهي تظل ثابتة لا تتغير طوال السرد،

---

[1]– عبد الرحمن بوعلي : التحليل السيميائي للخطاب الروائي : " القوس و الفراشة " لمحمد الأشعري أنموذجا ، مجلة فصل الخطاب ، مج 9 ، ع3 ، 2020 ، ص 122 .

[2]–حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء – الرمز – الشخصية) ، الناشر المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1990 ، ص 209 .

[3]–محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، (د.ط) ، 1997 ، ص 570 – 571 .

ودينامية تمتاز بالتحولات المفاجئة التي تطرأ عليها داخل البنية الحكائية الواحدة ، كما يجري النظر إلى أهمية الدور الذي تقوم به الشخصية في السرد، والذي يجعلها تبعا لذلك إما شخصية رئيسية، وإما شخصية ثانوية . » [1]

وفي دراستنا السيميائية لشخصيات " النهاية " قسمنا شخصياتها إلى شخصيات رئيسية وثانوية، محاولين بذلك إستخراج أبعادها الجسمية، النفسية، الإجتماعية، والثقافية إن وجدت.

إن المتطلع على رواية النهاية يجد أن المتن الروائي حافظ على نفس الشخصيات المتواجدة في رواية ريح الجنوب، إلا أننا نجد بعض التغيرات سواء من حيث تصنيف الشخصيات بين رئيسي وثانوي، أو من حيث صفاتها وتفكيرها، وهذا ما سنتطرق إليه في العناصر الآتية:

أ – الشخصيات الرئيسية و أبعادها :

إن الشخصية الرئيسية تعد المحرك الفعلي لأحداث السرد الروائي، وفي رواية النهاية نجد كل من نفيسة ومالك جسدا دور الشخصية الرئيسية لكن بصفة متفاوتة، حيث أن نفيسة تعتبر هي الشخصية الرئيسية بالدرجة الأولى وتأتي بعدها مباشرة شخصية مالك، وتمكنت الروائية حميدة شنوفي من جعل بطلا روايتها يحملا دلالات متنوعة، وكذا وصفهما من مختلف الأبعاد الجسمية والنفسية والإجتماعية والثقافية :

– شخصية نفيسة :

جسدت صفات المرأة الجميلة المثقفة، القوية، الشجاعة، المستقلة بذاتها، والرافضة للظلم والسلطة الذكورية، ويمكن تقسيم الصفات التي حملتها شخصية نفيسة إلى أربعة أبعاد:

– البعد الجسمي :

جاء الوصف الجسمي لنفيسة على لسان عدة شخصيات كدلالة على مدى تميزها وسط بنات القرية، من بينها ابنة العجوز المصاب بالزهايمر: « فنفيسة فتاة جميلة الوجه، ذات سحنة

[1]– حسن بحراوي: المرجع السابق ، ص 215 .

بيضاء شهية، لا يمكن أن تنسى بسهولة .»[1] ، وكذا في حديث الراوي عن مشاعر مالك لنفيسة كونها شبيهة لخطيبته المتوفاة « لكنه ما انفك يقاوم نفسه أمام هذه الفاتنة حتى لا يضعف أمام إغراءات والدها لتزويجها إياه .»[2]، فنفيسة تحمل مواصفات جسدية ساحرة ، يعجب بها كل من يراها دون استثناء .

ووصف نسوة الدشرة لجسم نفيسة ليلة وفاة العجوز رحمة« جمالها و نعومة يديها سببهما أن قساوة القرية لم تطبع وشمها المفحم بالخشونة على جسدها بعد .»[3]

« نظرت المرأة إلى نفيسة في ذهول ، فقد كانت تشبه إلى حد كبير رجلا ملثما يرتدي برنس أكبر منه، ولولا ملامح وجهها الأبيض الصافي، ويديها الناعمتين اللتان كانتا تحملان حقيبة ملابسها لظنتها رجلا .»[4]

وكذا :« استلقت نفيسة على الفراش بجسدها المتناسق... إنها بما تملك يمكن أن تقود الكثير من الرجال هنا بالجنون، ذلك أنهم لم يروا في مثل انتفاخ فخذيها ولا في مثل نقاء سحنتها، ولا حتى في مثل في مثل نعومة و طراوة ذلك الجسد .» [5]

وكذا حوار مالك مع نفيسة في منزل العجوز رحمة :« في بادئ الأمر شككت، لكن ما لبث أن تفحصت ملامح وجهك التي كانت خيوط ضوء القمر تداعبها، فلمحت سنحتك البيضاء الشهية... ورغم أنني لمحتك مرتين فقط.. إلا أنني استطعت أن أحفظ جزءا يسيرا من ملامحك الساحرة .»[6] ، وغيرها من المقاطع الدالة على جمال نفيسة وانبهار كل من يرى جسدها وملامح وجهها.

---

[1]– حميدة شنوفي : النهاية ، المصدر السابق ، ص 25.

[2] – المصدر نفسه ، ص 40 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 44 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 45 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 124 .

[6] – المصدر نفسه ، ص 134 .

- البعد النفسي:

نجد شخصية نفيسة قد عاشت العديد من المواقف السيئة التي جعلتها تعاني من اضطرابات تتجسد في الخوف، القلق، إحساسها بالحيرة وكثرة التفكير، وهذا ما نجده في المقاطع السردية الآتية :« كم الحياة قاسية حين لا تمنح لنا خيار تقرير مصائرنا كيفما نشاء، كانت نفيسة تفكر في هذا الظلم وهي تهرول هاربة من ذعر ما شاهدته في منزل الراعي من أحداث » [1]

وقولها حول خوفها « مر شريط الأحداث على مخيلتها كالبرق ، وهي تشعر بالخوف على ما قد يكون أصاب والده ... وهول ما تراه أفقدها اتزانها، إلى أن اهتدت أنه ما يزال على قيد الحياة »[2]

« إلى أين سأذهب و هل سيغفرون لي فراري من البيت ثم عودتي دون تبرير، وكأن شيئا لم يكن ؟ »[3]

« كانت نفيسة لا تفكر حينها إلا في سبيل لخلاصها بعد أن اقتنعت أن عواقب عودتها إلى المنزل ستكون وخيمة... تذكرت عدد من الأشخاص الذين تأذوا بسببها، ولم تعد تفكر إلا في احتمال أن تواجدها في هذا المكان، وهي قريبة من كل هؤلاء الأشخاص لن يعود عليهم سوى بالأذى .» [4]

« إلى أين سأذهب لا والد يريد أية صلة بي، ولا أما تفهمني، ولا سلطة أو قانونا ألجئ إليه حتى يحميني من قسوة البشر، كيف يمكن أن يزوج إبنته كرها، ثم يحاول قتلها إن هي تمردت على هذا المصير. »[5]

---

[1] – المصدر السابق ، ص 17 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 17 – 18 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 19 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 20– 21 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 46 .

« أنا فتاة تعيسة حقا »[1]

« حتى إن غرفتها في منزل والديها رغم ارتياحها الجسدي فيها، إلا أن نفسيتها كانت تذبل رويدا رويدا »[2]... وغيرها من المقاطع الدالة على اضطرابات نفيسة .

إلا أننا نجد بعض المشاهد الدالة على تحسن نفسيتها، ومن تلك المقاطع السردية نذكر ما صرحت به في رسالة كتبتها نفيسة لمالك:

« قررت أن أعود إلى مسقط رأسي، إلى حيث أنتمي... سأعود مرفوعة الرأس إلى حيث يجب أن أكون، إلى حيث سأعيد لنفسي السكون، سأعود لأبني قريتي التي تركتها مرغمة، هاربة من تجبر والد ظالم »[3]

فكانت هذه المقاطع السردية تحمل دلالات تراوحت بين الإضطرابات النفسية التي عانت منها نفيسة، وبين ما أحست به من راحة وهدوء في مرحلة متقدمة من عمرها .

- البعد الإجتماعي :

عاشت نفيسة إحساس الغربة لمدة طويلة من حياتها فحين إقامتها في القرية فصلت نفسها عن أهل قريتها وعن أمها وأبيها، وذلك راجع لعدم قدرتها على تقبل عاداتهم وتقاليدهم، وأسلوبهم في التعامل مع المرأة، مما جعلها تنفر من كل ما هو مرتبط بالقرية، وتفضل عدم التعامل مع أهل القرية خاصة بعد الفضيحة التي جرت في منزل رابح، وهذا ما نلتمسه في المقاطع الآتية : « كانت نفيسة تتحاش الإجابة عن تساؤلات البعض، وتتعمد عدم التفصيل عن ما حدث في بيت الراعي قبل قليل »[4]

« إن هذا المجتمع لم يأخذ سوى بالمبادئ التي تكبل المرأة وتجعلها في كل مرة راضخة لسلطة الرجلو ذكورته، فلا رأي لها ولا كلمة ، طالما أن الرجل هو من يتكبد مصاريف المنزل فالرأي

[1] – المصدر السابق ، ص 89 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 101 – 102 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 148 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 19 .

الراجح له... لذا عاشت المرأة طوال عمرها تتبع هذا الكائن بصمت، فكان جسدها يأخذ حقه من الضرب، وفكرها يأخذ نصيبه من الرضوخ والاستسلام .» [1]

« هذه القرية اللعينة فأغلب سكانها ما يزالون يعبدون المشايخ والأولياء الصالحين، فيطلبون في كل مرة يمرض فيها أحد أن يشفوه ليربطوا كل الحالات بأنها مس شيطاني أو جن .» [2]

ومن الأمور التي جعلت نفيسة لا تحبذ الإختلاط بقريتها و تتمنى الخروج منها :

« كانت نفيسة تربط كل شيء بحال المرأة هناك، والطريقة التي يقرر فيها الرجل مصيرها، ففي عزوبتها يكون للوالد سلطة عل كل قراراتها، وبعد أن تتزوج ينتقل هذا التسلط إلى زوجها هذا ولا تفعلي ذاك وقولي هذا فيحد هذا الاخير من تمتعها بالكثير من الحقوق. » [3]

إضافة إلى حسد نساء القرية لنفيسة بسبب المكانة الإجتماعية التي يتجلى بها أبيها :

« اعتبرتني كل نسوة القرية أوفر النساء حظا في هذا الوجود... فأغلب من ترى حياتي أو تسمع عن أبسط شيء أملكه من رغد تحسدني، وتتمنى لو امتلكت بعض مما أملك .»[4]

« تمنت الكثير من النسوة مكانها، لو تحضين بربع ما كانت نفيسة تنعم به .»[5]

كانت نفيسة تربطها علاقة سيئة جدا بأبيها لدرجة أنها تمنت زوال تلك الرابطة للأبد: « فلو يخيروني أن أكون ابنة شخص غير والدي لقبلت، بشرط أن تكون كلمة الفصل في حياتي لي وحدي .»[6]، كما أن علاقتها مع أمها كانت سطحية لأنها كثيرا ما تتزعج من ضعف أمها لذا لم تحاول الإقتراب من أمها، أو محاولة فهم وجهة نظر أمها، وسبب صمتها على هذا

---

[1] – المصدر السابق ، ص 50 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 55 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 54 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 89 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 122 .

[6] – المصدر نفسه ، ص 89.

الظلم: « هي تصارع جبروت والدها، ورضوخ أمها المستفز أين زمجرت عدم رغبتها في أن تكون مثلها، راضخة، تعيش تحت سيطرت رجل ذكوري. »[1]

إلا أنه في مواقف أخرى نلحظ الجانب الإجتماعي لنفيسة الذي يرغب في الإقتراب إلى بعض أهل القرية، منها ما هو بدافع الحب كما هو الحال مع علاقة نفيسة بالعجوز رحمة، ومنها ما هو بهدف النجاة والإختباء عن الأنظار مثلما ما نلتمس في علاقتها مع رابح و أمه، وكذا مع العجوز المصاب بالزهايمر وابنته في البداية ليتغير في الأخير، وتصبح تكن لهم مشاعر الإحترام والتقدير والإمتنان، وهذا ما نلحظه في المقاطع اللآتية :

في الحديث عن العجوز رحمة :« طالما كانت تعتني بها وتنصحها، وتدافع عنها أمام والدتها» (2)

وفي طلب نفيسة من رجل عجوز للمبيت عنده :« أريد أن أذهب معك إلى بيتك ، فأنا لا أملك مكانا أبيت فيه هذه الليلة، فهل أجد في بيتكم مكان ؟

أكد العجوز: على الرحب يا ابنتي... البيت بيتك في أي وقت »[3]، بالإضافة إلى تفكير نفيسة في حال رابح وأمه، بعد تلك الفاجعة « فما باتت تكنه لهما من مودة خلال مكوثها في منزلهما حالت دون نسيانها لتفاصيل كثيرة ومواقف سخية جرت بينهم [4].

- البعد الثقافي :

نفيسة هي تلك الأنثى التي تطمح لتكوين مستقبل زاهر من خلال الإستمرار في الدراسة في العاصمة للحصول على التكوين أفضل من الذي متواجد في القرية، ويتجلى ذلك في رغبتها الشديدة لإتمام الدراسة وحبها للمطالعة والتنويع فيها، وهذا ما يتضح لنا من خلال المقاطع السردية الآتية :« أدركت نفيسة حينها، أن الرجل المسن يعاني من نقض الذاكرة على الأرجح،

[1] – المصدر السابق، ص 113 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 21 .

[3] – المصدر نفسه، ص 22 .

[4]– المصدر نفسه، ص 90.

لإنها كانت قد قرأت في أحد المرات عن مرض مشابه اسمه الزهايمر، وهو مرض متقطع يصيب الأشخاص المسنين . »[1]

« حدثت نفيسة نفسها في حيرة، وكأنها معتادة على تفسير صوت الرياح ومعرفة اتجاهاتها، لكنها غالبا قرأت أحد المقالات التي تتحدث عن هذا النوع من الظواهر الطبيعية وأسبابها وتبعاتها ... فرجحت أن الموقع الجغرافي لهذه المنطقة هو ما يجعلها عرضة لأقصى أنواع الظواهر الطبيعية »[2]

« سأقرأ من الآن وفصاعدا كثير من المقالات عن المرأة وحقوقها فالكثير من الحبر قد سال في هذا الخصوص فما عساي أفعل سوى أن أقرأ و أتمعن في كل ما قيل، عل ذلك يعطيني بعض الأمل في أن هناك من يفكر في جنسنا على أننا نستحق الحياة »[3]

« لقد قرأت في رواية لكاتبة جزائرية تطرقت لموضوع زواج القاصرات في إحدى رواياتها انغمست صاحبة الرواية تسرد حال سكان القرى وكيف يفكرون، وتطرقت لموضوع الزواج المحرم، وجهل الناس ولجوئهم إلى الشعوذة والتبصير بسبب ما خلفه المستعمر الفرنسي من بدع و خرافات حينها، يال الغباء ويالسخرية القدر، بل تبا وألف تب لكل من يفكر بهذه الطريقة التي لا تمت للإنسانية بصلة .»

« اقترب موسم الدراسة ... سيكون من الواجب علي أن أسافر قبل ذلك الوقت حتى أجهز قبلا للدخول المدرسي ...» [(4)]

ونفيسة لم تكتفي بالقراءة فحسب بل أصبحت تكتب ما يجول في ذهنها من أفكار هادفة، فتأخذ الأوراق وتباشر في طرح أفكارها حتى تتعب وتنام كمحاولة منها لطرد الملل الذي حل بها في منزل العجوز رحمة ومما كتبته :

---

[1]– المصدر السابق ، ص 22.

[2]– المصدر نفسه ، ص 42.

[3]– المصدر نفسه ، ص 55.

[4]– المصدر نفسه ، ص 121 .

« طالما كانت المرأة والأرض سببا في قيام الحروب والثورات ودافعا وجيها يبرر فعل الإستطان والسيطرة، فكلما اتسعت رقعة أرضك إتسعت سلطتك وازداد نفوذك، وكذلك عندما يتعلق الأمر بالمرأة (لا ... ليس جميلا) مزقت نفيسة الورقة ورمتها جانبا .»[1]

« منذ ألاف السنين كانت الأرض وما تزال سببا في قيام الحروب والنزاعات بين الدول، كانت تلك المرأة وما تزال محل نزاع وثورة بين القادة والجنرالات، بين الطغاة والمغتصبين، بين الأبناء العاقين، بين كل الطامعين في تلك الثرة التي لا تزول... حروب من أجل الطعام، من أجل المال، ومن أجل إثبات القوة وإثبات حق البقاء، وليس هنالك من هو أفضل من الأرض لتحقيق كل هذا... إن امتلكتها جلست دائما على كرسي عال، وشاهدت البقية من الأعلى، من منبر قوة و سلطة وقدرة على تقدير مصائر الناس كيفما نشاء.» [2]، فما كتبته نفيسة لم يكن مجرد خربشات عشوائية بل كان عبارة عن حوصلة مختصرة تدل على الحالة السياسية السائدة في فترة ما بعد الاستقلال، وما تسبب به الإقطاعيين الإنتهازيين من أضرار ومعاناة للعائلات الجزائرية الفقيرة التي تزداد فقرا بينما هم يزدادوا غنى .

أما المقاطع الآتية فهو يدل على اتساع دائرة الإطلاع، وعدم اكتفاء نفيسة بالغوص في نوع واحد أو جنس فني واحد « أنا في وضع أشبه بتمثيل سيناريو رواية لم يجد كاتبها تنظيم حواراتها، ولم يستطع إيجاد نهاية تليق بها »[3]، فاطلاعها على الفن بصفة عامة جعل عقلها ينسج هو الآخر لفيلم هي بطلته التي لم تحضى بالنهاية تتوافق ومستوى تضحياتها، ورغباتها كون المرأة المثقفة لابد أن تحصل على نهاية مشرفة .

إضافة إلى ذلك الأثر الذي انطبع في ذهن نفيسة، فالمطالعة كان لها دور هام في عملية النضج الفكري:« إن ما تقرأه من قصص عادة ما ينضج تلك الأفكار الرومانسية في داخلها، فتعود كأنها تتمثل في أحد شخوصها، فتنفجر منها العبارات في أبهى بلاغة لتعتنق

---

[1]– المصدر السابق، ص 59 .

[2]– المصدر نفسه، ص 59 – 60 .

[3]– المصدر نفسه، ص 91 .

مذهب التصوف في الحب للوصول إلى تفسير واضح لهذا الشعور الرباني الغريب الذي هو حالة صراع دائم مع الكره فتحب هذا وتكره ذاك، وتشعر بالإستياء لأنها ولدت في مكان كانت تمقت كل تفاصيله، أو بالأحرى طريقة تفكير من يعيشون فيه .» [1]

وغيرها من المقاطع الدالة على ثقافة نفيسة النابعة من كثرة مطالعتها وتنوعها ... كلها ساهمت في تكوين الشخصية التي هي عليها الآن .

- شخصية مالك :

جسدت شخصية مالك شيخ البلدية صورة الرجل الجزائري الغيور على بلده والحريص على إصلاح وطنه والمحافظة على الأرض، فهو الرجل المناضل والثائر، المثقف، النزيه، المتمتع بالشخصية القيادية، وصورت الكاتبة شخصية مالك وفق أربعة أبعاد ولكن بشكل متفاوت كما هو موضح :

- البعد الجسمي :

لم تقدم لنا الكاتبة وصف دقيق لمالك، حيث نجد مقتطفات فقط منها ماهو دال على قوة شخصيته وحضوره، و منها ما هو دال على مشاعره ، نحو: « ملء مالك بجسده باب المقهى فانتبه إليه كل من كان في الداخل »[2]

« كان مالك قد باشر يميل بجسده مبتعدا عن الرجل دون أن يشعره أنه يتهرب من مواصلة محادثته في نقاش بات يرى فيه عدم جدواه.»[3]

« كان طاهر يرى على وجه مالك سيمات الإرتباك ، إذ في الغالب كان يريد سؤاله عن أحوال القرية في غيابه . » [4]

---

[1]– المصدر السابق، ص 106 .

[2] – المصدر نفسه، ص 66 .

[3] – المصدر نفسه ، ص64.

[4]– المصدر نفسه ، ص 78 .

« واصل طاهر تكهناته بخصوص فرار نفيسة حتى يهدئ من غضب مالك البادئ على تفاصيل وجهه ... قال مالك ذلك و قد هدأ اضطراب حاجبيه الملتصقتان جراء الغضب .» [1]

« فنظرت إليه نفيسة مبتسمة ، متفحصة ملامح وجهه الذي كان يشع ثقة و هدوء »[2]

فكما هو ملاحظ إكتفت الكاتبة بذكر بعض ملامح مالك، دون التفصيل في شكله الخارجي.

- البعد النفسي :

نلتمس في شخصية مالك صفات عدة جعلت منه شخصية متفردة في هذا العمل الأدبي، فنجد حالته النفسية في بعض الأحيان تعبر عن حالة الحزن والوحدة واليأس، وفي حالات أخرى تعبر عن تلك الشخصية الثائرة، المتزنة، والمقاطع السردية الآتية دليل على ذلـــك :

عاش مالك حالة اضطراب بسبب عدد الوفيات التي شهدتها القرية التي أصاب أهلها بداء الحصبة، وفشل البلدية في توفير العلاج للمرضى، وكذا بسبب إحساسه بالوحدة بعد وفاة صديق دربه " المعلم الطاهر"، ونلتمس ذلك في رسالة بعثها مالك لنفيسة:

« أعلمك أن القرية قد شهدت بضع وفيات، فصاحب المقهى قد وافته المنية قبل أسبوع من الآن، وبعض صبية القرية وفتياتها قد أتى عليهم داء الحصبة، ولم تستطع البلدية أن توفر اللقاح في الوقت المناسب، وهذا ما عكر مضجعي، كما منعني تأنيب الضمير من النوم لأشهر، و مازال كلما تذكرت الفاجعة شعرت بتقصير كبير مني، وإهمال لم أعهده يتحكم في كلما تذكرت أني قد بت وحيدا في هذه القرية... قد تملكني الوهن والضعف ... حتى رفيق عمري قد رحل ... »[3]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 84 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 146 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 8 .

ومن أسباب حزنه وفاة خطيبته :« ذلك الفتى الذي لم تعد البسمة تداعب ثغره منذ حادثة وفاة خطيبته زليخة . »[1]

وما جعل حزنه على زليخة ملازم له طول حياته متمثل في كون مالك فقد زليخة في قطار فجره الثوار ومعهم مالك حيث حدث خطأ فكان من المفروض استهداف القطار الحامل للعسكر الاستعماري، إلا أن اللغم انفجر في القطار الحامل للمدنيين العائدين من العاصمة ومن بينهم زليخة، الأمر الذي جعل مالك يعيش في مأساة دائمة، ووجود نفيسة في الصورة زاد من حدة الحزن كون هذه الأخيرة نسخة عن اختها الكبرى زليخة :« كان مالك يرى في نفيسة نسخة عن زليخة التي فقد، وقد كانت لتكون البديل... إعادة الزمن إلى الوراء حتى يغير قدر موتها بسبب كان له يد في حدوثه، حتى تعود إليه الإبتسامة التي لم تزر شفتيه منذ ذلك الزمان ». [2]

« لكنه الآن و كأنه يرى النسخة المكررة عنها ، فكيف له أن يقاوم هذه الثورة الكامنة في داخله، وملامح الشبه التي تتشارك فيهما هاتان الفتاتان تكاد تكون متطابقة، كيف له أن يصمد أكثر أمام هذه الملامح.» [3]

« تتشابه في الملامح والحركات معها، وتكاد تكون هذه السمات متطابقة في نغمات الصوت إذا ما تحدثت.» [4] ، فكانت نفيسة بمثابة عنصر جعل مالك مشوش التفكير، وكثير الشرود نتيجة استرجاعه وبشكل متواصل لأحداث مضت .

بالإضافة إلى وصف الراوي لحالة مالك أثناء تواجده في منزل العجوز رحمة يوم وفاتها: ... سارحا بخياله إلى زمن بعيد كان مالك فيه أشبه ما يكون بالمدمر، فجسد ينزف دما من

[1]- المصدر السابق ، ص 33 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 40 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 130 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 131 .

أجل الوطن، وقلبا ينزف حرقة هو الآخر جراء فقدانه لمحبوبته، وما كان له في ذلك سوى المقاومة لأجل الوطن .» [1]

ونشهد حزنه أيضا على فراقه للعجوز رحمة المحبوبة « إن المكان لم يعد يشعرني بالانتماء، فما كان يربطني به قد رحل، ولا راحة لنا في مكان لا نحس بانتمائنا فيه... ففهم الرجل ما لمح به مالك، إذ أن الجميع كانوا يعملون ما كان يكنه مالك للعجوز رحمة، ومنذ وفاتها لم يعد يربط هذا الرجل بهذا المكان سوى الأرض .» [2].

كما تميزت شخصية مالك بكونها ثائرة على كل ما هو معوج ومضر للأرض التي ولد وعاش فيها:« مالك كان فارسا لا تهده الصعاب، قد يقود جيشا لتحرير أرض، وما كان لتوانى عن تقديم روحه لأجلها »[3]، لأنه على ثقة بتواجد أناس ثائرين مثله، معتبرين الأرض أغلى من أرواحهم« كان دائم التأكد في أن البعض من سكانها ما كانوا ليضحوا حتى لو وضعت مشنقة المستعمر حول رقابهم، وما كانوا ليخونوا ويشوا بثوار كان كل همهم إسترجاع أرض مغتصبة من أجل سكانها الأصليين .» [4]، وفي مواضع أخرى نلتمس التردد والاضطراب في تفكير مالك :

« تجشم مالك عناء المشي مطولا والتفكير فيما آلت إليه الأحوال، هو يعلم يقينا أن عابد لطالما أراد له أن يتزوج ابنته بدوافع غير التي يتمناه أي أب لابنته، وربما هذا ما جعل كرامته تحسم الأمر، وتطيل في تردده .» [5] فتردد مالك حول هذا الزواج مصدره الرئيسي الشبه اللامعقول بين نفيسة وزليخة الأمر الذي يجعل هذا الموضوع حساس بالنسبة إليه، إلا أنه إذا وافق على هذه المصاهرة سوف يعيش ندامة كبرى كونه يعي أن هدف هذا الزواج مبني على مصالح

---

[1]– المصدر السابق ، ص 130 .

[2]– المصدر نفسه ، ص62 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 64 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 64 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 73 .

شخصية تخدم عابد، ومالك يكره أن يستغل خاصة إذا كان الأمر متعلق بحياته الشخصية والعاطفية.

ونشهد أيضا ذلك الاضطراب في المقاطع الآتية:« الأفكار المضطربة في داخله أقوى من أي قوة إقناع ، خصوصا أنه بات يعلم مبدئيا بما تفكر فيه هذه العروس، التي قرر أبوها زواجها منه فجأة، دون أن يبدي صاحب الرأي أية نية .» [1]

« كان مالك يفكر في طلب مشورة ما، وفي وضعه هذا لم يفكر إلا في صديقه الطاهر رغم تخوفه من ردة فعله التهكمية لأنه من بادر أول الأمر بالإنسحاب عن مناقشة الموضوع معه و منعه من فتحه مهما كانت الظروف بطريقة غير مباشرة .» [2]

« كيف سيفتح هذا الموضوع مع صديقه ؟ »[3]

« حديث يجلب آخر حتى أفهم ما الذي جرى، فلا أنا قادر على سؤال عــابد عن الموضوع والأمر حساس بالنسبة له، ولا أنا بمتأكد من ثرثرة سكان القرية الذين لا يمكن أن يعتد بأقاويلهم »[4]

أما في المقطع الآتي سنلاحظ تخوف مالك من أن تفسد صداقته بالطاهر بسبب ميل الأخير لنفيسة وإظهار رغبته فيها: « صدقا أخاف أن يؤول حالنا يا صديقي إلى العراك من أجل أنثى، أنثى كانت لتقدم لي على طبق من ذهب حتى دون أن أشاور، أنثى فضلت وصمة العار على أن تكون لي .» [5]

---

[1] – المصدر السابق ، ص 74 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 75 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 76 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 77 .

[5] – المصدر نفسه ، ص99 .

« خبره طاهر مستفزا إياه لمعرفة رأيه في الموضوع وإن كان ينوي خطبتها، أو إن هو لم يفكر في الأمر من الأساس... ما الذي كان ينتظره طاهر منه ؟ أن يتنازل له عنها ؟ »[1]

ولم يكن هذا هو خوفه الوحيد فهو أصبح يخاف من أن يتأذى مرة أخرى وأصبح إعطاء فرصة ثانية أمر ليس بالهين :« أخاف أن تتغلب علي لذة امتلاكها كما رغبت في امتلاك زليخة، فتصعب علي المقاومة حتى النهاية... أخاف أن أعطي لنفسي فرصة ثانية فأذوق من كأس المر جرعتين .» [2]، و غيرها

أما المقطع الآتي فهو دليل على ثقة مالك من نفسه، وكذا دلالة على اتزانه و نزاهته الصفة التي تكاد تنعدم وسط أهل القرية و كذا قوة شخصيته فنجد:« كان مالك قد ذهب إلى القرية وكله ثقة بأن ما أتى من أجله سيقلب الموازين رأسها على أعقابها، وأن ما كان يخاف منه البعض قد بات جائز الحدوث.» [3]، وهنا أشارة لعابد بن القاضي وأمثاله من الإقطاعيين المتسلطين .

« إذ أن ما جاء به إلى القرية صباحا كان أهم من أن يلهيه عن أدائه... دون أن ينفي أن الأمر قد شتته، وما كان من شيمه أن يناقش أعراض الناس مع أي كان، وهو حريص على الكتم وتورية الحقائق عن الفضوليين، إذا ما أرادوا الخوض فيها، كان مالك قد أتى لأجل عمل محدد، وكان عليه أن يوفيه حقه على أكمل وجه » [4]، هنا إشارة لدهشة مالك بعد سماعه لخبر هرب نفيسة وإقامتها في منزل رابح، إلا أنه لم يدع هذه الدهشة وهذا الموضوع أن يحيله عن أهم موضوع ممكن أن يطرق على ذهن مالك ألا وهو خدمة الأرض ومصالح شعبها.

---

[1] – المصدر نفسه ، ص74 .

[2] – المصدر نفسه، ص 99 .

[3] – المصدر نفسه، ص 65 .

[4] – المصدر نفسه، ص 66 .

- البعد الاجتماعي :

يعتبر مالك مثال جيد للشخصية القوية ذات حس عالي بالمسؤولية إتجاه الشعب والأرض، مما جعل شخصية مالك تفرض الهيبة والرهبة والإحترام في نفوس أهل القرية ككل كما جعلت منه شخصية مرغوبة عند البعض كونه حريص أشد الحرص على توفير الراحة لأهل قريته قدر المستطاع كونه شيخ البلدية، وكذا العمل على إيجاد حلول تخلص هذا الشعب من الفقر الذي أثقل كاهل حامليه، إلا أنه في المقابل كسب مالك بعض الأعداء المتمثلين في الإقطاعيين وعلى رأسهم عابد بن القاضي، كون مالك كان بمثابة حاجز متين ثابت، وقف بينهم وبين مصالحهم الشخصية التي عادة ما تحقق على حساب الفقراء، والمقطع الآتي خير دليل على ذلك :

هنا نلتمس ذلك الحس بالمسؤولية والروح الوطنية التي تمتع بها مالك، فهو شخصية مناضلة وقوية، ومهابة، وكذا مرغوبة، فهو من الأوائل الذين انضموا لصفوف الثورة التحريرية وأول من بادر في إصلاح حال القرية كي يحضى شعبها بفرص عادلة.

والمقاطع الآتية تسلط الضوء على ذلك :« كانت خيرة تعي جيدا طينة هذا الفتى ومعدنه، مالك كان وما يزال في نظرها سيد الرجال شهما ونبيلا، يكفي أنه ضحى بنفسه من أجل الوطن »[1].

ويظهر إحترام أهل القرية لمالك في المقطع الآتي المتمثل في دخول مالك للمقهى:

« - السلام عليكم و رحمة الله .

- أهلا بالمير (شيخ البلدي) وطأت سهلا .

رد القهوجي بصوت مرتفع أعدم جلبة المكان، ونبّه الحاضرين ممن كانوا منهمكين في لعب الدومينو على دخوله .

[1]- المصدر السابق، ص 33 .

– قهوة شيخ البلدية على حساب المقهى هذا الصباح، منذ مدة لم نر لك حضورا سخيا بيننا.»[1]

« أما القهواجي فقد أعد له القهوة قبل طلبات الزبائن الآخرين ووضعها أمامه، وأكد أنها على حساب المقهى ثانية .» [2]

« كان الجميع ينصت .»[3]، حيث أن القهواجي يعي تماما تماما مكانة مالك كونه كان رفيقا له أيام الثورة المجيدة .

هنا تظهر قوة شخصية مالك و حسن استعماله لمنصبه: « باسم السلطة التي أمتلكها.. جمعتكم اليوم وكلي يقين أن هذا القرار قد لا يخدم البعض منكم... وفي نفاذ هذا القانون مقاصد أعلمتكم جهة إصداره بأن عقوبات مخالفيه ستكون وخيمة... ولا اختيار لديكم في استحسان الأمر أو نكرانه، فلكل ذي سلطة سلطة تعلوه و لكل سلطة تعلو إرادتنا كشعب ضعيف رب لا يرضى لوطن أن يُعيث... إن أغلبكم مهمش إن لم أقل كلكم... وقد آن أوان وضع النقاط على الحروف، وتشكيل واقع تحكمه قوانين صارمة ... وما أتمناه لكم صلاح أحوالكم وعيلكم... وتساويكم في الحقوق والأعباء .» [4]

ويتبين لنا حسه العالي بالمسؤولية في الرسالة التي أرسلها إلى نفيسة بعدما وعدها بأن يعلمها بأحوال القرية وقد فعل ذلك فالوعد لن يوفي به إلا الرجال، ومالك هو مثال للرجولة: « سواء وصلتك رسالتي هذه أم لم تصل... أتمنى أنك بخير، وكما في كل رسالة، حتى لا تسيئ فهم الأوضاع، أعلمك أن خدمة البريد في القرية باتت لا تؤدي عملها على أكمل وجه ... لكني لطالما نوهت للأمر واتخذت إجراءات لتسهيل التراسل بين القرى النائية والعاصمة أنا على يقين أن أغلب الرسائل تصل... واتفاقنا في التراسل يقضي أن أعلمك بشؤون القرية وأحوالها...

---

[1] – المصدر نفسه ، ص 66 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 68 .

[3] – المصدر السابق ، ص 70 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 69 – 70 .

أتمنى أن رسالتي ستصلك في العاجل، أعلميني إن وصلتك برد يليق... فأجيبك عن كل استفساراتك وما تودين الاطمئنان بشأنه .» [1]

« فمالك كما هو معروف عنه مجد في عمله و مسؤول ، ولطالما كان كذلك رغم جل العقبات التي تواجهه في عمله الميداني .»[2]

أما المقاطع الآتية فهي تحمل دلالات صارخة، معبرة عن تلك الشخصية الثورية والثائرة والمناضلة :« إن كان قد ضحى بالمرأة لأجل الأرض فالأرض حتما تستحق، كما لم تعد تستحق تلك الشفاه الإبتسامة منذ زمن بعيد، فكيف له إذن بنسيان تلك التضحية والوقوف مكتوف الأيدي أمام من يريد أن ينتزع منه أحقية الدفاع الأبدي عنها .» [3]

« صمت طاهر وأومأ برأسه مؤيدا ما قاله مالك فهو يدري أنه يحاور رجلا قبل أن يكون مثقفا فوران دمائه الساخنة للتجنيد ألف مرة للدفاع عن هذا الوطن ما تزال تسري في شرايينه .»[4]

« ... سيصلح أحوال الناس ويقضي على الإنتهازيين من أمثال عابد وغيره، مالك المدافع عن الأرض من أيام الثورة، وعابد الذي بسبب طباعه التملكية أقدم في وقت ما على أن يشي بمالك ورفاقه من مجاهدي ثورة التحرير انتقاما لروح ابنته المتوفاة جراء لغم وضعه مالك كان يستهدف قطارا لجنود الإستعمار، فكان سببا مباشرا في دمار قرية بأكملها، وسببا جعله يثير في نفس مالك المجاهد حالة كره لن تطفئ لهيبها السنين» [5]، فهذا المقطع لا يجسد شخصية رجل ثائر فحسب، بل أيضا رجل ذو روح وطنية عالية الحس لم ولن يخمد لهيبها مهما طال الزمن، ومهما تكاثرت المصاعب التي عادة ما تكون على هيئة أشخاص شبيهة بعابد .

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 7 – 9 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 76 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 63 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 96 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 110 .

« ... وما كان لمالك وهو الممثل الأول للسلطة في القرية والرجل المجاهد المخلص لوطنه والمتفاني في خدمتها أن يؤمن جانب رجل حركي وشى بثوار، و كان سببا في قتل أمة .»[1]

تربط مالك علاقة لا يمكن نكرانها مع عائلة عابد بن القاضي رغم كل تلك الأحداث ويتجسد ذلك في حديث الطاهر مع نفسه: « ورغم كل ما حدث فهي حسب أعراف والدها ما تزال من حقه، فهو عند العائلة محبوبها، وفارسها الذي لا تهده الهزائم مهما بلغت شدتها، وقد كان خاطبا لأختها من قبل، وربما وعد هذه العائلة حتى لو أنكر .» [2]

« ... منذ متى لا تهمك عائلة عابد فأنا كما سمعت تكن معزة خالصة للخالة خيرة أم نفيسة فهي كانت في يوم ما ستكون حماتك... وقد تصبح كذلك الآن .» [3]

ونفيسة كان لها هي الأخرى حصة التعرف على مالك حتى ولو كانت لفترة قصيرة جدا إلا أنها أعطت لها صورة عن من هو مالك وما هو معدنه وشخصيته :«... ستحاوره ، سترى ما الذي جاء به إلى هنا حقا، فقط لترى أي نتيجة ستصل إليها مع هذا الرجل الهادئ، مع مالك ، مالك الذي رغم امتناعها عن جعل أي علاقة تنبت معه كانت ترى في غموضه وخجله قوة شخصية أظهرتها نقاشاته القليلة التي شهدت لها حضورا محتشما مع الخالة رحمة ووالدها فرأت في هذا الرجل الصامت إذا ما نطق تفوه حكما، وإذا ما حاور خرج بنتيجة مرضية لكلى الطرفين، من كانت ترى في نظراته المختلسة لها شيئا غريبا يجذبها إليه .»[4]

هي التي كانت تضنه مثل باقي رجال القرية الشهوانيين اللذين يضعفون بسهولة أمام الأنثى ، كونهم يعتبرون نظرة من إحداهن حتى لو بشكل خاطف دلالة على أن إحداهن ترغب في شيء ما، مما جعلها تتوخى الحذر أثناء حوارها مع مالك في منزل رحمة « كانت قبل ذلك

[1]– المصدر نفسه ، ص 111 .

[2] – المصدر نفسه ، ص101 .

[3] – المصدر نفسه ، ص79 .

[4]– المصدر نفسه ، ص 131 .

تتفادى النظر إليه مباشرة، خوفا من أن يفهم ذلك من قبله خطأ، والمكان أين يتواجدان الآن منعزل والوقت كذلك لا يمكن التحكم فيه.»[1]

إلا أن نظرتها له تغيرت تماما بعد إدراكها لحجم إختلافه عن باقي أهل القرية خاصة بعد مبادرته، فهو ساعدها وسهل عليها عملية تنقلها للعاصمة حتى تتم دراستها هناك:

« – ليس في قدومي إلى هناك ما قد يؤذيك ، عرفت أنك هنا صدفة فأردت المساعد.»[2]

« – ما الذي ستفعلينه الآن ؟

وقبل أن يكمل مالك سؤاله ، ردت نفيسة مجيبة ...

أجابت نفيسة في ثقة : السفر إلى العاصمة .

فقال مالك منهيا الحديث : لك ذلك يا نفيسة ... لك ذلك .» [3]

وفي قولها في رسالة كتبتها لمالك :« .. لا أود أن تفكروا في الأمر من جانبكم بالسوء... أو تعتقدوا أنني استغللت طيبتكم وخدمتكم في إنقاذي ليلتها ... فصنيعكم لن أنساه ما حييت.» [4]« معلمة تدعى (نفيسة عابد القاضي)... بعد أن هربت من بيتها باتجاه العاصمة وأن لشخص اسمه مالك، وقد كان يترأس البلدية حينها دخل في الأمر، كما تناقلت الألسن أن لشخص كان يكنى برابح الراعي دخل أيضا، رغم كلامهما لم يبرح القرية يوما، وقد وافتهما المنية قبل أعوام عديدة حتى نست القرية أمرهما .» [5]

كما اعتبر مالك الرجل المثالي بالنسبة لنساء القرية لما يحتويه من خصال أصبحت نادرة التواجد في رجال القرية وهذا ما نلتمسه من خلال حوار دار بين مالك وصديقه الطاهر حول رفض نفيسة لمالك: « ... كان الطاهر بجملته و كأنه يمس رجولة مالك، الذي ما كانت

---

[1] – المصدر نفسه ، ص 146 .

[2] – المصدر نفسه ، ص 129 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 145 – 146 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 11 .

[5] – المصدر نفسه ، ص 154 .

لترفض الزواج منه أية عاقلة من عذارى القرية، وإلا لكانت أكبر مجنونة .»[1]، فكان هذا المقطع السردي دليل واضح على مكانة مالك وسط نساء القرية.

تربط مالك صداقة قوية بالمعلم الطاهر الذي يعتبر صديقه الحقيقي والوحيد :« دخل الطاهر محييا مالكا ومقتربا منه ومسلما عليه في اشتياق واضح، فمالك وطاهر رغم أرائهما المتناقضة إلا أن معزة خاصة تجمعهما .» [2]

« كان الرجلان يتعمدان السير ببطء شديد حتى يستمر الحديث بينهما لوقت أطول إلى أن يفترقا ، فنهاية الطريق تعني نهاية الحديث وذهاب كل منهما في حال سبيله .» [3]

« أما مالك فكان يدري أن صديقه رغم اختلاف وجهات النظر بينهما، إلا أن ما يجمعهما أكبر من إختلاف بسيط بينهما، ذلك أن قدسية صداقتهما لن تسمح بإمكانية نشوب خلاف قد يقضي على مات جمعهما سوية طوال حياتهما .» [4]

وفي بعض الأحيان نجد مالك يميل للعزلة و التواري عن أنظار أهل القرية، بما في ذلك الطاهر لأسباب مختلفة أحيانا تكون بسبب عدم رغبة مالك في الثرثرة والتطرق إلى مواضيع لا جدوى منها كالحديث في أعراض الناس في المقاهي وغيرها من الأماكن :

« كان مالك قد مشى مطولا في أزقة القرية، فعادة ما يفضل المشي ليلا، إذ لا أحد يمكنه رؤيته و اشغاله بالكلام، لأن أغلب أحاديث الناس كانت لا تعدو أن تكون ثرثرة .» [5]

« كان مالك يخرج كل ليلة ليتمشى متعمدا الإبتعاد عن مهامه المنهكة كشيخ بلدية طوال النهار، فاختار كالعادة الطريق التي غالبا ما لا تعج في ذلك الوقت من المساء من المارين متفاديا اللقاء بأي أحد من سكان القرية، من قد يفتح حوار معه، يكون للثرثرة نصيب منه فأكثر

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 80 .

[2] – المصدر نفسه، ص 77 .

[3] – المصدر نفسه ، ص 93 .

[4]– المصدر نفسه ، ص 96 .

[5]– المصدر نفسه ، ص 92 .

ما يمقته مالك التحدث في أعراض الناس، وكذا في المواضيع التافهة تفاديا لمضيعة الوقت»[1] بل وأصبح خروجه خفية في الليل أمر بالغ الأهمية، يتضح ذلك من خلال المقطع الآتي: «كان قد قرر أن يبتعد خلال هذا الأسبوع عن كل الناس بما فيهم المعلم الطاهر، فما كان يخرجه كل ليلة وحيدا وجبت فيه السرية التامة، وإمكانية مشاهدة أحد من سكان القرية له كان ليدمر كل ما كان عاجزا عن تصديق أنه يفعله.» [2]

« إن كنت تخشيني أتيت لنتحدث صباحا، لكي لا أحبذ ذلك، فأعين سكان القرية ترصد دبيب النمل إذا ما عبر، وفي ذلك أكبر مخاطرة لك، وإذا ما شاهدني أحد بالجوار تساءل حتى أنني كنت أتردد لإطعام الدجاجات ليلا .» [3]

ومن أسباب تجوله ليلا وفي أماكن تقل فيها الحركة راجع لهربه من مقابلة صديقه الذي لا يمكن له من فهم ما يجول في خاطره خلال بضع دقائق كون الطاهر له قدرة قراءة مالك من خلال ملامح وجهه لشدة قربه من مالك وعمق معرفته به :

« بات مالك يتهرب من مقابلة الطاهر، فهو من قلائل الناس الذين يقرؤون ما تخفيه ملامح مالك مهموما كان أو منشرح خاطره، إن لم نقل أنه الوحيد، كما أن أسلوبه الماكر في المحاورة يدفع بمالك على الرغم من تكتمه إلى إلى الحديث ردا على استفزازاته الكثيرة »[4]

لمالك أعداء في القرية أمثال عابد الإقطاعي الذي رأى تواجد مالك في القرية سوف يسبب له خسارة أراضيه كون مالك يمثل النظام الذي سعى جاهدا لتطبيق وفرض الإصلاح الزراعي مما جعل عابد يسلك طرق ملتوية وجعل من مخططاته كي يكسب ود مالك، وبالتالي محافظة عابد على أراضيه :« إن عابد بن القاضي كان وما يزال يرى في مالك الريح الخارجية

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 121 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 122 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 130 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 122 .

التي أتته منذ زمن الثورة، بإصرار لا تلهيه عن أعمال الحق أيه رشوة أو مساومة، لكنه كان يعمل حتى يسلم ابنته قربانا للسلطة، كما حدث و سلم زليخة قبلها .» [1]

وقرار الإصلاح الزراعي جعل ملاك الأراضي ساخطين على مالك :« فهم يرونني الآن الجلاد الذي سيطبق قانون أخذ أراضيهم .» [2]

« فأخذت الدهشة تلعثم حناجر البعض ممن سيمسهم هذا القرار بالسلب... وسط هذه الجلبة التي أخذت لها حيزا وسخطا من قبل الفلاحين أصحاب الأراضي .» [3]، ومالك متقبل لكل من اعتبره عدوا له، فهو مستعد لمواجهة أي شيئ، وأي أحد يستهدف الأرض لخدمة مصالحه الشخصية على حساب الأرض والفقراء .

رغم ذلك الصراع الذي يدور بين عابد ومالك في الخفاء، إلا أن عابد مثله مثل أهل القرية يحترم مالك فهو :« محبوب العائلة... والكل يشهد بطيبة وبنبل أخلاقه، ودليل ذلك ما يتداوله سكان القرية عنه، ناهيك عن أنه... له معزة كبيرة عند خيرة، وكذا عند عابد رغم تجبره» [4]

لكن في المقابل نجد مالك قابل كل محاولات عابد بالرفض، وصد كل مخططاته فهو يعي تماما معدن وأهدافه الخفية :« ما كان لمالك أن يستسلم ويعطي هذا الإنتهازي فرصة أخرى حتى يعبث بحياته مجددا .» [5]

ومما جعل مالك حانق على عابد « ما كان ليطبق مقولته الشهيرة إن تعلق الأمر بالثورة " الأبناء هم الحل " هم الحل إذا كانوا سببا في إبقاء أرضه مملوكة له لكنهم ليسوا كذلك إذا ما

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 40 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 93 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 71 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 129 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 41 .

تعلق الأمر باسترجاع أرض وتحريرها من سيطرة المستعمر، هذا ما حز في نفس مالك سخطا لن يغفره له ما بقي بين دفتي قلبه من نبض .» [1]

« زمن التملك العشوائي للأرض قد ولى، إذ لا مكان للرشوة ودفع الاشتراكات وأخذ ما لا يستحقه بعض المستحوذين، أمثال عابد بن القاضي وغيره، ممن أخفوا عن الأعين ما يملكونه وسبل كسبه الملتوية .» [2]

فكان مالك يعي أن قرار التسيير الذاتي للأراضي الفلاحية :« بمثابة الضربة القاضية للبعض، ولعابد على وجه الخصوص، ولم يكن يدري أنها ستكون الضربة الثانية التي سيتلقاها بعد حادثة فرار ابنته.» [3] وعليه يمكن القول أن مالك هو صاحب شخصية ثورية مناضلة جعلت من أهل القرية يرغبونه إلا أنه في الوقت ذاته يهابونه .

- البعد الثقافي :

نجد في هذه الرواية العديد من المواقف الدالة على ثقافة مالك، ونلتمس ذلك من خلال أفكاره وقراراته، ردات فعله وحسن اختياره للكلمات الدالة على فصاحة مالك والتي عادة ما تكون مختصرة في القول إلا أنها حاملة لمعاني عميقة يعجز معظم سكان القرية لاستيعابها وفهم مقاصدها : « لم يكن ليفهم العم بعضا مما أراد مالك أن يوصله له، ردا على أسئلته رغم عفويتها .» [4]، ونلاحظ ثقافته أيضا من خلال معرفته بفن الإلقاء وأسلوب الخطاب المباشر: « ألقيت السلام وسأعيد إلقائه على الحضور الكريم تمهيدا لكلامي... وقد كان مالك يبغي من ذلك تنبيه الجميع لضرورة الإستماع إليه وترك ثرثراتهم إلى ما بعد هذا الإجتماع .» [5]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 110 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 68 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 67 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 63 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 68 .

« وقف مالك يلقي ما جاء به: – باسم السلطة التي امتلكها، هذا نص القرار بعد بسم الله الرحمان الرحيم .» [1]

« ينصت الجميع بارتباك باد إلى هذا الكلام الفصيح و قوة المعاني الموصوفة علما ، التي لم يفهم منها البعض إلا تلميحا .» [2]

بالإضافة إلى مرونة تفكيره وانفتاحه مقارنة بباقي رجال القرية، كون مالك هو الآخر تكون في العاصمة ونهل من علم الأستاذة هناك الأمر الذي جعله يبتعد في صفاته عن التعصب والإستمتاع أثناء الحديث في شرف الناس وأعراضهم :« لكن مالك يدرك هو الآخر أن الفتاة ربما تعرضت لضغط وإكراه، وهو من سبق و عايش طريقة تفكير والدها الصارمة وأن فتاة مثقفة في مثل حالتها، لن تفكر في أمر كهذا إلا إن كانت تعرضت لما قد فاق إرادتها»[3]، « فرد مالك: كلام الناس لا يرحم... في هذه القرية المغلوب أمرها، سكانها باتوا يعيشون لأجل الثرثرة وإكثار الأقاويل.» [4]

وكذا سرعة بديهة مالك وفهمه للمعاني الخفية :« لمس مالك في كلام عابد لوما، فرد بثقة متأكدا من أن كلماته ستهز أوصال عابد هزا : لا يهمني ما يتداوله سكان القرية... بقدر ما تهمني هذه الأرض .» [5]

وأفكاره الفلسفية الساخرة التي طرحها أثناء نقاش مالك مع طاهر حول فتح أبواب المدرسة خلال فترة الصيف :« – لا أدري، لكن ما أعرفه أن على قانون ما أن يسن بهذا الخصوص فتوفر قاعات خاصة في كل مدرسة... سيشمل النسوة والرجال على حد سواء وكذا توفير معلمين خاصين... أتعتقد أن رجال القرية سيفتحون مجالا لزوجاتهم و أمهاتهم بالخروج للدراسة

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 69 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 70 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 75 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 81 .

[5]– المصدر نفسه ، ص 115 .

الفكرة مستفزة لرجولتهم وغطرستهم، باستثناء أنهم لن يمنعوهم عن الخروج للزراعة والحصد، فهل في هذه المغارقة العجيبة حل حسب رأيك ؟ .» [1]

وبما أن مالك أفكاره تجسد الشخصية الثورية النضالية فكان لهذه الأخيرة الحصة الأكبر من ثقافته التي نلتمسها وبقوة في هذا االمقطع :« لقد أنشئت ما تسمى بالهيئة الوطنية للإصلاح الزراعي بعد أن تم الإعلان عن تطبيق مرسوم قانون التسيير الذاتي وبدأت عملية تأميم الأراضي لصالح الدولة، لتوضع كل أراضي القطر الوطني تحت تصرف هذه الأخيرة، وعلى كل فلاح أن يعمل في الأرض تحت رقابتها، فيسمى (بالفلاح المستخدم) حتى يضمن اليوم وغدا المساواة، وعدم إمكانية تهريب هذه الممتلكات .» [2] وغيرها من المقاطع السردية الدالة على ثقافة مالك .

ب- الشخصيات الثانوية وأبعادها :

للشخصيات الثانوية دور فعال في تحقيق البناء الروائي الذي بين أيدينا، فهذه الشخصيات جاءت بهدف إبراز الأحداث، منها ما يلعب الدور المساعد للشخصيات الرئيسية ومنها من يكون معارض لها، والجدير بالذكر أن المساحة التي أخذتها الشخصيات الثانوية في رواية " النهاية " تختلف فهناك من أعطته حميدة شنوفي مساحة واسعة، وهناك من حضي بمساحة ضيقة، كل حسب الدور الذي جاء ليقدمه.

وعلى هذا الأساس وأثناء دراستنا السيميائية للشخصيات الروائية وجدنا الكاتبة قد تخلت عن وصف بعض الأبعاد في شخصيات وتطرقت إليها في شخصيات أخرى، وفي دراستنا لشخصيات الثانوية وأبعادها وقع اختيارنا على كل من عابد بن القاضي، رابح (الراعي)،(الحطاب)، المعلم الطاهر، أم رابح، خيرة (أم نفيسة) عبد القادر (أخ نفيسة)، العجوز المريض، ابنة العجوز المريض، حفيد العجوز، والشخصية المجهولة .

[1]- المصدر نفسه ، ص 95 .

[2] - المصدر نفسه ، ص 71 .

- شخصية عابد بن القاضي :

جسدت شخصية عابد بن القاضي صورة الرجل القاسي الإقطاعي ، و الأب الإنتهازي الذي لن يتعلم الدرس مهما طالت السنين ، أو تكررت الأحداث، لأن هدفه الأسمى هو استغلال كل ما هو محيط به – بما في ذلك أولاده – لخدمة مصالحه الشخصية والحرص على المحافظة عليها – الأرض – دون مبالاة منه بعين الاعتبار إذا كان في ذلك ضرر لغيره .

صورت الكاتبة عابد وفق ثلاثة أبعاد: جسمية – نفسية – إجتماعية .

- البعد الجسمي :

اكتفت حميدة شنوفي بذكر بعض من المقتطفات الدالة على البناء الشكلي لعابد بن القاضي، وتمحورت حول تعرضه لإصابة على المستوى الرأس من قبل أم رابح، بعد محاولة عابد لقتل رابح في منزله، ومن المقتطفات الدالة على جسم عابد بن القاضي نذكر :« لم تمض إلا بعض دقائق حتى خرج عابد بن القاضي يتلوى من شدة ما أصاب رأسه فشاهدت جموع الناس دمائه القرمزية تنزل من على جبينه »[1]

« كان عابد يبدو في حالة مزرية، لا يقوى فيها على المشي .» [2]

« نالت منه الحمى و كادت مفاصل ظهره تتمزق .» [3]

« وقد جفت قطرات الدماء التي انسكبت من... رأس عابد ليلة أمس .» [4]

« رأيت البكماء تأخذ فأسا وتضرب رأس والدي فيخر صريعا في مكانه، والدماء تنزل قرمزية من رأسه.» [5]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 29 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 30 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 31 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 35 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 142 .

- البعد النفسي :

حملت شخصية عابد بن القاضي العديد من الصفات المشينة، فهو شخص يملئه الخبث والمكر والنفاق ويصاحبه الإحساس بالحقد والتملك والسيطرة على من هم محيطين به – الأقل منه شأنا أو ممارسته لسلطة الأبوة على أبنائه – كونه إنسان أناني ساخط على كل من يخالف أوامره، ويعارض تجبره:

« كما أن الغضب والحقد اللذان كان يحملهما حينها قد أعما بصيرته، إذ أنه دخل دون سابق إنذار حتى يكون شاهدا على ما اقترف في حق شرفه حسب مفهومه، وحتى لا يكون لأهل البيست حجة يتنصلون بها من ذلك الذنب .» [1]

أما المقاطع الآتية فهي تحمل دالة واضحة عن مدى تحكم مشاعر السخط، وسيطرة صفة التملك والمكر على تصرفات عابد وعلى أحاسيسه ، ذلك الشخص الأناني :

عابد اختار :« كالعادة التضحية بالابن لأجل مصالحه الشخصية، فهو لم يضحي يوما بالابن لأجل استرداد الأرض... بل اختار... على حد اعتقاده أن يضحي كالعادة بالابن لأجل التملك... فما كان ليتوانى عن التضحية بالمرأة لأجل السلطة .» [2]

« فقط لأجل سلطة الأرض كان متحكما في المرأة ... المرأة و الأرض .» [3]

فكان أولاد عابد أول من ضحى بهم من قبل زليخة، والآن نفيسة التي تحتم عليها أن قربانا لجشع والدها وتجبره : « وحتى يضمن عابد في كل مرة سد ثغرات فشل مخططاته، راح يضع أولاده الواحد تلو الأخر في مواجهة هبوب الريح .» [4]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 29 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 68 – 69 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 40 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 41 .

« تلك السنوات العجاف التي عاشها إبان ثورة التحرير، زادته مكرا وحدة، ورغبة في الإستحواذ والتملك، مغامرا و متنازلا عن كل ما يملك »[1]

« لكن... لأجل التملك، ما دفعه للتضحية بنفيسة كقربان لامتلاك الأرض والإستحواذ عليها ».[2]

وفي مواقف أخرى نلتمس ضعف عابد وتواريه عن الأنظار بعد ما خسر أرضه وشرفه بسبب هرب ابنته واقامتها في منزل الراعي :« ففشلت سياسته الإنتهازية وبقي أعزلا، عاريا في مهب الريح، فخر منهك الشرف.» [3]

دون إهمال إحساسه بالخوف على ممتلكاته :« ها قد أتى اليوم الذي لم يكن عابد بن القاضي يريد أن يأتي... ورؤية مالك وهو يسمعه أكثر خبر يخيفه، ويضجع نومه .» [4]

« فما عادت له هيبته ووقاره اللذان كان يتفاخر بهما ... كان ينتظر أن توافيه المنية في أقرب الآجال فلا حياة بعد وصمة العار التي لحقت به .» [5]

إلا أن عابد لم يستسلم للخوف بل أنه حاول تخطيه ومواجهة الواقع والوضع الراهن، حيث نجد :« بات متأقلما مع الوضع و مستعدا لكل ما هو آت، كان على غير عادته هادئا، لا يمكن للعصبية أن تتسلل إلى نفسه في مواقف كهذه، و أمام من كانوا ينتقدونه من سكان في كل فرصة .» [6]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 111 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 123 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 41 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 72 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 85 .

[6]- المصدر نفسه ، ص 122 .

- البعد الاجتماعي :

يعد عابد من أشهر سكان القرية فهو من أحد الإقطاعيين الأغنياء، وامتلاكه للأراضي جعل منه شخص مهاب، متجبر، وكذا محط حسد، فالكل يرغب في العيش الكريم الذي يحضى به عابد و عائلته، و منهم من حاول التقرب إليه نظرا لمكانة عابد الإجتماعي:

« كان الظلام قد خيم على المكان ، فاغتنم البعض الفرصة لمساعدة ابن القاضي على الذهاب إلى بيته .» [1]

« همس البعض بشفاه لا تكاد تتحرك خوفا من غضب ابن القاضي .» [2]

« ... قد تتواصل مع والدها بأي طريقة كانت لتخبره عن مكان تواجدها، من أجل الحصول على المكافئة.» [3]

« لطالما كان عابد بن القاضي إقطاعيا انتهازيا وشرها لامتلاك الأرض على حساب الفلاحين ... ما دفعه للتفكير في تزويج ابنته من شيخ البلدية الذي كان ليكون مخلصا له حتى لا تنتزع منه سلطة الأرض .» [4]

إلا أنها لم تكن الصفة الوحيدة التي شاعت عن عابد :« عابد كان رجلا متفهما وصبورا إذ أنه من قلائل الآباء الذين كانوا يسمحون لبناتهم و أولادهم بالدراسة.» [5]

إلا أنه لم يكن إنسان جيد أو زوج جيد أو أب حنون بل كان قاسي متسلط، ظالم، وهذا ما نتبينه في مجمل علاقاته مع من هم محيطين به خاصة عائلته :« أصبح بيته مقبرة و مكانا لممارسة غضبه على خيرة أم نفيسة .» [6]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 30 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 30 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 28 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 39 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 111 .

[6]- المصدر نفسه ، ص 85 .

أما علاقته مع ابنته نفيسة فكانت سيئة جدا، ويمكن اختصارها في المقاطع التالية:

« كانت تتذمر من أوامر والدها الذي كان أميرا في قريته... يتحكم فيها كيفما يشاء، ويستحوذ على مصير ابنته ليزوجها لمن يشاء حتى تضمن له بقاء السلطة و التملك .» [1]

« هذا ما يحتسب عليه أبا انتهازيا...فما كان ليتوانى عن التضحية بالمرأة لأجل السلطة .»[2]

« إن والدي سيسعد بقتلي حتى تغسل وصمة العار التي سببتها حسب رأيه .» [3]

« فالهرب عندها في هذا المقام مواجهة... مواجهتها لرغبة والدها في تزويجها وإيقافها عن الدراسة أكبر قوة و تحد ... فالأبناء هنا قد تربو على كلمة نعم لكل شيء.» [4]

« إن السلطة الوحيدة التي يمتلكها الآن هي الأبوة ، وقد سلبت منه غدرا .» [5]

فكل منهما قام بإيذاء الطرف الآخر، أحد عن غير قصد، والآخر لم يهتم بما ممكن أن يفكر فيه الطرف الآخر – نفيسة – فالمرأة لا رأي لها في نظر عابد وأمثاله، وكانوا المصدر الرئيسي الذي تسبب في معانات النساء أمثال خيرة ، عانوا في صمت وتحملوا الذل والمهانة عاشوا حياة أشبه بالعقاب وسط مجتمع ذكوري متجبر اعتبر المرأة مجرد وسيلة لتحقيق الأهداف، أو للتنفيس عن الغضب، أو لتلبية الحاجيات اليومية... غيرها فهي خلقت لتشقى حسب نظر سكان المناطق النائية، الأمر الذي جعل نفيسة تنفض عنها غبار هذا التجبر وتسعى للمحاربة لأجل نفسها و لأجل باقي النساء .

إضافة إلى مالك الذي طالما كره تلك المعاملة التي تتلقاها المرأة في القرى، فهو لم يسعى الإصلاح الأرض فقط، بل سعى لإسترجاع كرامة الأرض و المرأة في الوقت ذاته، الأمر الذي جعله على خلاف مع عابد كون الإثنين متناقضين من جميع النواحي:

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 41 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 69 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 91 .

[4]– المصدر نفسه ، ص 141 .

[5]– المصدر نفسه ، ص 72 .

« كان مالك يسقط أي حديث منه على الأرض، وقد شكل علمه قبل دقائق بما حدث مع ابنة عابد فرقا، إذ رسخ الفكرة في رأسه أكثـر، فكلما تغتصب المرأة تغتصب الأرض ... المرأة التي حسب مفهوم البعض ملك للرجل، أبا وأخا، وزوجا وابنا، وربما في ما أتى به مالك اليوم، تحرير للأرض وكذا تحرير المرأة بطريقة غير مباشرة .» [1]

وتتجسد طبيعة العلاقة القائمة بين مالك وعابد من خلال المقطع الآتي، الذي أظهر حقيقة مشاعر مالك ورغبته المضمرة : « كان مالك قد وصل برفقة الرجلين بعد أن استقبلها في دار البلدية بحفاوة من ينتظر انتقاما طال أمده لعابد وأمثاله ... ما كان لمالك أن يؤمن جانب رجل حركي وشى بثوار .» [2]

إلا أننا نلمس نوع من التفهم لما أقدم عليه عابد بعد حادثة هرب ابنته و ردة فعل عابد بعد اكتشافه لمكان إقامتها، ويتضح ذلك خلال النقاش الذي دار بين مالك ونفيسة :« – لن ألومك يا نفيسة فقلائل هن من تستطعن فعل ما فعلته، كما لا ألوم والدك، فلديه تبرير عما أقدم عليه .» [3]

كما العلاقة التي تربط عابد برابح الذي كان يرعى له الغنم هي علاقة متضاربة، فعابد تهجم على رابح في وسط منزله بنية القتل، إلا أن رابح لم يبدي ردة فعل، ولم يقابل العنف بالعنف بل اكتفى بتلقي الضربات من عابد، ولولا تدخل أم رابح لكان ابنها قد ذبح على الفور: « هو من تكبد قبل قليل عناء صعود تلك الربوة العالية التي تؤدي إلى بيت الراعي، ولم ينهكه كبر سنه عن تحقيق ما كان ينوي فعله... كان يحلف بأغلظ الإيمان أن يقتل الراعي وكل من

[1]– المصدر السابق ، ص 67 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 110 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 143 .

في البيت .» [1] ، وكذا « خرج ابن القاضي ليلة أمس وهو في أوج قوته وشموخه يحمل سكينة دون أن يكلم أحدا.»[2]

إلا أننا حين نوجه زاوية النظر إلى رابح نجد ردة فعل مغايرة تماما، بل لا نجد أي ردة فعل بالرغم أن رابح هو الأصغر سنا، و لو أراد منع عابد لتمكن من ذلك بسهولة، خاصة مع أن عابد كان كبير السن والإعياء باد عليه :« – دخل والدي علينا... ممسكا موسه البوسعادي وموجها إياه صوب رابح ... الذي لم يحرك في ذلك الحين ساكنا، كان و كأنه راضخ لمصيره المحتوم ، ورغم أن والدي كان في حالة إنهاك و غضب شديدين ... إذ رمى به أرضا وكانت موسه قد لامست حوافه عنق رابح الذي لم يبد أية مقاومة ، ربما كان ذلك احتراما لسن والدي ومكانته أو لأسباب أخرى لا يعلمها إلا الله . » [3]

إلا أن هذه القوة وذلك التجبر زال عنه بعدما خسر كل شيء في لحظة واحدة أرضه السلطة الأبوية... ، وأصبح كباقي أهل القرية إلا أنه هو من فقد شرفه وأحس بالذل والزوال بينهم بعدما كان يمشي بافتخار، فارضا احترامه على الجميع، والآن أصبح أضحوكة بين الناس في المقاهي ، الأمر الذي جعله يبتعد عن الأنظار :« شوكة ابن القاضي قد كسرت ، وهيبته أمام الناس قد زالت، ولن يستطيع أن يظهر القوة التي كان يدعيها... كيف لا وهو لا يملك سلطة على ابنته .» [4]

« دخل اليوم وهو في كامل ضعفه وشوكته التي كانت سلاحه ضد كل من تسول له نفسه أن ينتقد مكانته وممتلكاته قد كسرت هباء .» [5]

لم يذكر البعد الثقافي لعابد بن القاضي في الرواية .

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 30 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 34 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 142 .

[4]– المصدر نفسه ، ص 20 .

[5]– المصدر نفسه ، ص 34.

- شخصية رابح :

رابح هو شخص ذو نفس طيبة، صبور، تجسد فيه معنى التضحية، نقلت لنا الكاتبة من خلاله معاناة الطبقة الكادحة من تجبر الإقطاعيين، عاش حياة اليتم والفقر، والحرمان، وهذه الشخصية أثبتت لنا أن فاقد الشيء يعطي بقوة .

عرف رابح باسم رابح الراعي كونه كان يرعى غنم الإقطاعي عابد بن القاضي ويقضي أيامه كلها مع تلك الأغنام ، إلا أنه في مرحلة ما من حياته تخلى عن هذه المهنة وامتهن بيع الحطب، وتوفرت في الشخصية الأبعاد الأربعة: الجسمية، النفسية، الإجتماعية، وحتى الثقافية:

- البعد الجسمي :

لم تسهب الكاتبة في وصف البنية الخارجية لرابح، بل ذكرت بعض الأعضاء كلها تمحورت حول تعرض رابح للضرب والذبح من قبل عابد :« وصورة والدها وهو يطرحه أرضا دون أن يبدي ردة فعل مضادة عن نفسه، ودمائه التي كانت تنزف من رقبته بغزارة لم تبرح مخيلتها قط .» [1]

« وقد جفت قطرات الدماء التي انسكبت من عنق الراعي ...» [2]

« كان رابح ممددا على حصير بال مسندا رأسه على بطانية طويت لمرات عديدة حتى شكلت وسادة ... وشيء من وشاح يلف رقبته فيظهره و كأنه شاه ملوية العنق تنتظر السلخ... كانت الحمى تأتيه فيغيب عن الوعي حتى تضن والدته أنه فارق الحياة لولا تنفسه الضعيف .»[3]

« فقد شاع بين الناس أن سبب الوفاة إصابة بالغة على مستوى الرقبة ، حدثت له جراء عراك يلفه الغموض مع رجل كان يكنى بعابد بن القاضي... وقد قيل أن رابحا قد شفي منها شفاء

---

[1]- المصدر السابق ، ص 20.

[2]- المصدر نفسه ، ص 35.

[3]- المصدر نفسه ، ص 38.

خارجيا، أين كان ينتقل في أرجاء القرية ... ثم استيقظ أهل الناحية على خبر وفاته جراء نزيف داخلي.» [1]

فالبعد الجسمي هنا كان محدود، وعادة ما جاء ليخدم الموضوع ويسهم في إيصال الفكرة بوضوح أكبر.

- البعد النفسي :

عاش رابح اضطراب نفسي بسبب تلك الأحداث التي عكرت صفوة حياته التي كان ينعم بها سابقا ، فرابح عانى من الألم الجسدي و النفسي الذي سببه له عابد و ابنته نفيسة التي طالما حلم أن تكون له ، ففي قمة ألمه و هذيانه لم ينساها :

« كان رابح ما يزال يهذي من شدة ما ألم به ... وصورة نفيسة لا تفارق ذهنه، فبين كل كلمة وأخرى كان يتلفظ باسمها »[2]

كما أن اليوم الذي دخل فيه رابح لغرفة نفيسة ليلا قبل هربها من منزل أبيها، ترك صدعا في نفسه، وخلف ألم لم يتمكن من تخطيه خاصة عند نعتها إياه بالراعي القذر بدل من أيها القذر أو أيها الرجل القذر، بل حددت كلامها و قالت الراعي القذر.

الأمر الذي حز في نفسه و جعله يقتنع أن نفيسة ترى أن وظيفته قذرة، وأن صفة القذارة تتماشى والرعاة، الأمر الذي جعله يثور على هذه المهنة، واختار مهنة أخرى فأصبح حطاب القرية، كي يبرهن لنفسه ولنفيسة أنه ليس قذر وليس راعي فحسب، بل هو رجل مستعد لإمتهان أي مهنة مهما كانت طالما تسمح له بإعالة والدته: « وإذا به يقول هاذيا : لن أرعى غنم ابن القاضي ثانية... الفقر أهون من الذل... علي أن أهتم بأمي... أنا لست راعيا قذر... نفيسة أخبرتني أن أرسل لها رسالة... أنا لست راعيا قذرا ... أنا لست راعيا قذرا... أنا رجل... أنا رجل .» [3]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 154 - 155.

[2]- المصدر نفسه ، 39 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 38.

لم يكن الضعف وحده من لازم شخصية رابح بل نلتمس فيه صفة الصلابة، والمقاومة على حسب ما صرح به أهل قريته :« لطالما كان رابح رجلا مقاوما لكل الصعاب .» [1]

المعاناة التي عاشها رابح وعانى منها كانت بسبب نفيسة فهي المحرك الفعلي الذي جعله يتخبط من نواحي عدة، ناهيك تحمله لسخط والدها إكراما لنفيسةالتي كانت واقفة هناك.

البعد الاجتماعي :

رابح هو شخصية محبوب، وكل أهل القرية يشهدون لرجولته وأخلاقه رغم الأقاويل التي لحقته عقب إقامة نفيسة في منزله، الأمر الذي جعل نفيسة تدرك قيمة هذا الرجل الشهم الخلوق، صاحب الخير والواجب، ويتضح ذلك من خلال الكلام الذي قالته عن رابح:

« لولا فضل الله ثم مرور رابح الراعي محتطبا ، لكنت الآن جثة هامدة . »[2]

« طالما شعرت بامتنان داخلي نحوه، لأنه الوحيد من أبدى تعاطفا نحوها، وهو الوحيد من ساعدها في أشد لحظاتها ضعفا... ألا يكفي إنقاذه لها من الموت، وإيوائه لها في منزله ومواجهة غضب والدها وعدم مقاومته إكراما لها، وهي من أذلته يوما بنعته أبشع الصفات» [3]

« ليعود ويثبت مرة ثانية أن شهامة الرجولة فيه أصلية لا مكتسبة ... هكذا كانت تراه نفيسة وربما ما تزال كذلك... منقذا لها و سندا .» [4]

« جعلت نفيسة عدة أشخاص على القائمة، فإما أن يكون رابحا، مرجحة كفته، فهو إنسان نبيل حقا، وعدد المرات التي ساعدها فيها تكاد تعدم القسوة واللؤم الرجولي في أغلب رجال القرية»[5]

« كنت أنام و إياها في الداخل، في حين كان رابح يأخذ جانبا من ربوة قريبة من المنزل .»[6]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 61.

[2]- المصدر نفسه ، ص 135.

[3]- المصدر نفسه ، ص 90.

[4]- المصدر نفسه ، ص 106.

[5]- المصدر نفسه ، ص 120.

[6]- المصدر نفسه ، ص 137.

إلا أن مساعدة رابح لنفيسة أسقط عليه وابل من الإتهامات والفرضيات، فإنقسم أهل القرية بين من مدحوا أخلاقه ولم يسيؤا الظن بابن قريتهم، وبين فئة أخرى تتلذذ بالحديث عن شرف الناس والإغتياب والثرثرة :« كان رواد المقهى العاطلين عن العمل يتداولو أحاديث يومية في المقهى فيقول الواحد منهم :

– من يتكل على من يخلق خشبة نايا ويبث فيها روحا لا يمكن له أن يغدر بالخشب ويرسله إلى الحرق .

– يرد آخر مدافعا – يأمر آخر ، دعكم من الحديث عن الناس، لم ترسخ قسوة الثورة فيكم سوى الهمز واللمز ...» [1]

وذهب آخرون يبحثون عن عيوب أخرى كي يشغلوا أنفسهم بالحديث عنها بدلا من إيجاد عمل ينتفعون به : « – حطب أمس ليس كحطب اليوم... إن ما يليق به هو الرعي دون غيره، وأنها المهنة الوحيدة التي يجيدها... الآحرى به العودة إلى مهنة الرعي التي تربى عليها منذ نعومة أظافره.» [2]

الطاهر ومالك من الذين أحسنوا الضن برابح و دافعوا عنه في غيابه، فمن يمتلك صفة الرجولة بالفطرة وحده من يستطيع اكتشاف هذه الصفة في غيره، وتلتمس ذلك في حوار دار بين مالك وطاهر : « لن أصدق أنك المثقف العاقل من يعتقد أن شرف الفتاة قد هتك و كلنا يعرف رابحا حق المعرفة، كما أنها كانت في ضيافة أمه ، يا الله بات كلام الناس في أعراض بعضهم البعض مثل شربة ماء .» [3]، وكذا « كلنا يعرف رابحا وأخلاقه ...» [4] فقد توترت العلاقة بين عابد ورابح ، وأصبح عابد يكن مشاعر الكره لرابح راغبا في إلغاء وجوده على هذه

[1]– المصدر نفسه ، ص 61.

[2]– المصدر نفسه ، ص 61.

[3]– المصدر نفسه ، ص 80.

[4]– المصدر نفسه ، ص 81.

الأرض لولا تدخل أم رابح لمات ابنها في عين المكان، هذا ما نلتمسه من حديث نفيسة عن تلك الأحداث السوداوية :« تذكر همجية والدها مع رابح .» [1]

لم يكن رابح شخصا إجتماعيا، ووظيفته رعي الغنم، كان يمتهنها لها حصة الأسد في تحقيق ذلك :« كانت حياته متشابهة التفاصيل، يقضيها بين بيت عابد وبين تلال ومروج القرية، أين كان يرعى كل يوم .» [2]

فكانت تربطه علاقة مع أمه فقط الأمر الذي جعله لا يجيد لغة يتواصل بها مع النساء ويتضح لنا جمال العلاقة التي تربط رابح بأمه من خلال حديث نفيسة عنهما : « كنت أرى في حوارات رابح وأمه بالإشارات استيعابا وفهما أكثر من تواصل الناس العاديين بالكلام الفصيح ففي تواصل أم رابح بابنها سحر لا يتقن إيصاله من يجيد كل اللغات، فلغة البكماء كانت الحب، ولغة الحب تغني عن كل لغات العالم مهما علا شأنها بين الأمم .» [3]

بالرغم من أن رابح لم يجد التواصل مع الناس كما يلزم إلا أنه أجاد التواصل مع الحيوانات :« كان يجيد حتما التواصل مع الحيوانات، فيعجب بصوت الطيور دواجن منها أو برية فتجمعه صداقة وفية مع خرافه، وكذا مع كلب حراسة عابد بن القاضي، أين لم يبد هذا الأخير استنكارا لقدومه يوم تجرأ على دخول البيت من سوره الخارجي نحو غرفة نفيسة ليلا .»[4]

- البعد الثقافي :

رابح إنسان أمي لم يدخل قط للمدرسة ولم يتلقى أي تعليم أكاديمي، وما تعلمه في حياته لم يتعدى المعرفة التي تتطلبها مهنته الشاقة: « فحياته مذ كان راعيا لم تخرج عن نطاق ما علمته هذه المهنة... أين أكسبته على غرار معارفه المحدودة عن الرعي أو بعض أغوار الحياة

[1]- المصدر السابق ، ص 141.

[2]- المصدر نفسه ، ص 105.

[3]- المصدر نفسه ، ص 138.

[4]- المصدر نفسه ، ص 104.

... فهو ولد لم تسمح له الحياة أن يتعلم خبرات ويأخذ مواعظ من والده ، كما من أمه البكماء ...» [1]

إلا أنه تجسد البعد الثقافي في شخصية رابح من خلال حبه للموسيقى وعزفه على الناي الذي لامس قلب كل من يسمعه و يبث في نفسه الراحة ، فكان الناي بالنسبة لرابح وسيلة أتقن توظيفها للتعبير عن مشاعره، أحاسيسه، عن ذاته التي لم يستطع التعبير عنها باللغة التي يتداولها عامة الناس ومن المقاطع الدالة على ذلك اخترنا : « أنغام ناي الراعي تقتحم سمعها في إعجاب .» [2]

« اعتاد بعض الأشخاص ممن يخرجون باتجاه الأحراش و الوديان للرعي أو جلب الأعشاب ، يطمئنون عند سماع صوت ناي رابح الراعي ، أين لم تسمع صوت ألحانه منذ مدة طويلة ، بعد أن تخلى عن مهنة الرعي .» [3]

وغيرها من المقاطع الدالة على البعد الثقافي لرابح المتجسد في قدرته على العزف على الناي و إنتاج لحن عذب تطمئن له الأذن والنفس.

- شخصية المعلم الطاهر :

الطاهر هو شخص مثقف واعي، امتهن أشرف مهنة وهي التعليم، فكرس حياته لنشر العلم، وتدريس أولاد قريته، عاش وحيدا، ولم تربطه علاقة صداقة إلا مع مالك شيخ البلدية، ووصفته الكاتبة من خلال الأبعاد الثلاثة : النفسية، الإجتماعية ، الثقافية:

- البعد النفسي :

نلحظ على الطاهر أنه يعيش حالة حزن نابعة عن ذلك الحرمان ، فهو لا يملك شيء ما عدى المدرسة التي يقضي فيها جل وقته، ويظهر لنا ذلك الحزن من خلال الحوار الذي دار بين الطاهر وصديقه مالك حول الأرض ، وقانون التسيير الذاتي: « فأجاب الطاهر بصوت حزين

---

[1]- المصدر السابق ، ص 104 - 105.

[2]- المصدر نفسه ، ص 41.

[3]- المصدر نفسه ، ص 60.

هادئ... يخاف منه من يملك أرضا، وأنا لا أملك سوى قاعة صغيرة في المدرسة، أنفرد مع تلاميذي... الذين يكادون يعدون على الأصابع، وأمارس حريتي وحقي في الحياة معهم .» [1]

ظهر اهتمام الطاهر بنفيسة رغم أنه لم يراها من قبل، بل وأصبح يفكر فيها بجدية تامة الأمر الذي جعله كثير التفكير فيها والتساؤل، بهدف جمع أكبر قدر من المعلومات – عن هذه الفتاة المثيرة للإهتمام – حتى لو تم ذلك من خلال استفزازه لصديق عمره الذي كان من المقرر أن تخطب نفيسة له لا لطاهر أو لغيره : « فقال الطاهر متذمرا :

– لماذا تتهرب دائما من الخوض في غمار هذا الموضوع ؟

– و لم تصر أنت الآخر على فتحه كل مرة .

تم و اصل الطاهر بنوع من اللؤم :

– أم أن هناك ما يحز في نفسك ؟ »[2]

« ... المعلم الذي فكر أنه قد أحبها قبل أن يراها .» [3]

بل و أنه رأى أن هذه الفتاة تستحق أن يخاطر لأجلها بالصداقة الوحيدة التي لن يكررها العمر مرة أخرى : «... مستفزا مالكا كل مرة ليعرف عنها تفاصيل يراها تستحق المخاطرة المخاطرة بصداقته مع مالك، من يوم آثار الأمر مازحا وكاد يتحول طرحه لفكرة أن تنازل مالكا عنها سيفتح له المجال ليتقدم لها .» [4]

كما نجده كثير الحوار مع نفسه حول نفيسة وإمكانية ارتباطه بها الأمر الذي خلق تساؤلات عدة في ذهنه ، فتلتمس فيه الأنانية، والشخصية الحالمة :« كم أنا أبله، كيف أخوض غمار حديث أعلم أن نتائجه وخيمة، وكيف أتحدث عن فتاة شاع أمر خطبتها من رجل آخر رجل يحسب له ألف حساب...، ولو استطاع لنفاني عن هذه القرية بسهولة، حتى لا أشكل

[1]– المصدر السابق ، ص 81 – 82.

[2]– المصدر نفسه ، ص 97.

[3]– المصدر نفسه ، ص 98.

[4]– المصدر نفسه ، ص 98.

خطرا عليه، أرى في هذه الفتاة السحرية ما يشبهني... هذا ما سيصب في صالحه، وحتما ستكون حظوظه معها ممكنة» [1]

« إقدامه على هذه الخطوة سيعرض مهنة التعليم التي يعتبرها كل حياته للخطر ... لا ضير ... فلأجل هذه السحرية كل شيء يهون... أنا متأكد أنه لن يسمح لأحد غيره أن يأخذها منه بعد أن شاع خبر زواجهما بين الناس... لابد أن لا يفوته ثانية فيمثل دور المنقذ لينقذها ووالدها مما طالهما من أقاويل تمادت في بث سمومها الألسن .» [2] فكانت أفكار المعلم الطاهر متضاربة ، غير مبالي إن كان لمالك رغبة فيها هو الآخر .

- البعد الاجتماعي :

لم يكن الطاهر شخص إجتماعي ، بالرغم من أن مهنته تجعل منه شخصية معروفة في المحيط الذي يعمل فيه، إلا أننا لم نلحظ عليه إي تفاعل مع من هم محيطين به ما عدى صديقه الوحيد مالك الذي يحدث بينهم بعض الخلافات والمناوشات التي عادة ما تكون عن أمر خطبته لنفيسة إذ هي أمر فعلي أو إشاعة : « - (سألتك مرة إن ...) وقبل أن يكمل الطاهر كلامه .

رد مالك بتعصب : أجبتك يومها إن كان اللبن الذي شربت قد أسكرك ، و أعتقد أن سكراته ما يزال تأثيرها واضحا عليك حتى اللحظة .

تدارك الطاهر حديثه : في سؤالي حكمة .

- فيه من التدخل ما يثير حفيظتي... فهل تود أن نفترق و نحن عاتبان على بعض ؟ .» [3]

« افترق الرجلان بعد كثير من الصمت مودعا أحدهما الآخر ببرود، بعد أن تمنا لبعضهما ليلة هانئة، ثم سلك كل منهما طريقا فرعيا مختلفا .» [4]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 99 -100.

[2]- المصدر نفسه ، ص 101.

[3]- المصدر نفسه ، ص 96 - 97.

[4]- المصدر نفسه ، ص 99.

إلا أنه مهما كبرت المشاكل و الخلافات بينهم أو صغرت لن تغير من طبيعة صداقتهم أو من قربهم لبعض : « إن قدسية صداقتهما لن تسمح بإمكانية نشوب خلاف قد يقضي على ما جمعهما سوية طوال حياتهما ... لا زلت لي يا أفضل صديق أنجبته هذه الدنيا .» [1]

وغيرها من المقاطع الدالة على متانة هذه الصداقة التي لن يغير أي ريح إتجاهها بشكل جذري .

- **البعد الثقافي :**

جسد الطاهر الشخصية المثقفة، العاشقة للعلم والتعليم واللغة العربية، فهو الذي كرس حياته لخدمة العلم، والعمل على تنشأة أولاد القرية على نفس الحب الذي يكنه الطاهر لهذه المدرسة التي أصبحت جزء لا يتجزأ من كيانه : « قم للمعلم وافه التبجيل ... كاد المعلم أن يكون رسولا... ألقى الطاهر هذا البيت على مسامع مالك حيله منه لتغيير الموضوع .» [2]

« أما اللغة العربية فهي ما تبقى لي ... صدقا من الصعب علي العيش بعيدا عنها... إذ أن تعلقي بها ناجم عن ما عنته هذه الأخيرة، ونحن تحت وطأة الاستعمار الغاشم... لأن الهدف كان طمس الهوية العربية الإسلامية... فكل المدارس كانت ناطقة باللغة الفرنسية ... ومنع المعلمين من مزاولة التعليم إلا برخصة لقد كانت معاناة أرجو ألا تتكرر، وفي جهاد الإمام عبد الحميد بن باديس الفضل الأعظم إذ قال : أفضل أن تغرس ألف رصاصة في صدري، على أن تغرس اللغة الفرنسية في مدارسنا... إذا علمت ولدا فقد علمت فردا، وإذا علمت بنتا فقد علمت أمة .» [3] و « قال طاهر ذلك بعد شيء من الصمت : ما رأيك في أن تسمح البلدية بفتح أبواب المدرسة خلال عطلة الصيف لتعليم سكان القرية، أو إن كان في الأمر ما يستحيل حدوثه، فعلنا ذلك كل بداية موسم دراسي .» [4]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 96.

[2]- المصدر نفسه ، ص 82.

[3]- المصدر نفسه ، ص 83.

[4]- المصدر نفسه ، ص 94.

وغيرها من الإقتباسات الدالة على ثقافة الطاهر وعشقه للتعليم، وتعلقه الشديد باللغة العربية، فمن الواضح أن الطاهر اختار مهنة التدريس عن قناعة وحب واضحين لكل من يستمع لكلامه وأفكاره التي يطرحها.

- **شخصية أم رابح :**

هي امرأة فقيرة جسدت معاناة المرأة الجزائرية والطبقة الكادحة، وكانت بمثابة مثال عن المرأة "الحرة " ، القوية التي لا تنكسر وقت الشدة، وإن ضعفت فلن يستمر ذلك الضعف، بل نجدها تقاوم كل العقبات والتحديات، فهي البكماء التي استشهد زوجها، وتركها تربي ابنها الوحيد وسط الفقر المدقع، وأخرجت من ولدها رجل شهم خلوق يشهد له معظم أهل القرية بذلك، وتمكنت الكاتبة في تصوير الصفات هذه المرأة وفق الأبعاد الأربعة : الجسمية، النفسية الإجتماعية، والثقافية .

- **البعد الجسمي :**

لم تعمد الكاتبة على وصف البنية الجسدية الكاملة لأم رابح بل نلمح بعض من أعضائها خاصة بعدما أصبح لسانها قادر على التعبير وإخراج الصوت : « كانت تصعد أحراشه في إعياء باد بسبب سنها .» [1]

« تمتمت البكماء بحركات تشي بالتعجب محدثة نفسها ... و لا كانت يداها المرتجفتان قادرتان على إتقان الحديث بتحريكهما ناسية أن بإمكانها التحدث .» [2]

« فمذ عاد إليها شيء من صوتها لم تنفك تدرب نفسها على النطق ببعض الكلمات مع تحريك دائم ليديها كما اعتادت أن تفعل دون جدوى، فقد طبعت فيها خاصية التحدث بيديها وبتعابير وجهها .» [3]

---

[1] – المصدر السابق ، ص 35.

[2] – المصدر نفسه ، ص 38 – 39.

[3] – المصدر نفسه ، ص 36.

- **البعد النفسي :**

عاشت أم رابح حالة هلع و خوف لم تشهده في حياتها قبلا ، فكان منظر ابنها يذبح أمام أعينها أشد قسوة مما شاهدته من معاناة أيام الثورة ، ألم لا يقبل المقارنة و صدمة لا يمكن للعقل هضمها، وهي التي كانت حياتها كلها عبارة عن مآسي، كل واحدة منها أكبر وقعا من سابقتها، ولشدة الهلع وهول المنظر عاد إليها صوتها بسبب ذلك المشهد الدموي، ومن المقاطع الدالة على ذلك : « فما مر عليها ليلة أمس لم تشهد هلعه حتى في أيام الثورة ولم تسمع عنه وكما أخذت ظروف سيئة خاصية النطق منها أعادت ظروف أصعب الخاصية ذاتها، ما أثار في نفسها الخوف حتى لم تعد تقوى قدميها على حمل جسمها .» [1]

« لم تستطع إلا أن تحدث نفسها في أعماقها و تدعوا الله أن لا يصيب ابنها الوحيد مكروه ، و إلا لن تكون بمقدورها التحمل .» [2]

« كيف لها أن تعيش وحيدة من دونه، وهي من فقدت زوجها ووالديها وأتى وباء على صحتها فأفقدها خاصية النطق .» [3]

إلا أن ذلك الهلع و الإحساس بالضعف لم يتغلب عليها لأن غريزة الأمومة كانت أقوى من كل شيء ، فأكسبتها القوة والشجاعة والإرادة، فهي مستعدة لفعل أي شيء حتى لا تخسر ابنها الوحيد ولا يفارقها فهو أغلى ما تملك :« لا تدري حتى الآن كيف استطاعت أن تدافع عن ابنها ضد هجمات بن القاضي وهو يشهر سكينه في وجهه .» [4]

كان ذهنها مليء بالتساؤلات فعدم مقاومة ابنها لهجمات عابد أصابها بالحيرة : « كيف لابنها وهو في كامل صحته وقوته أن يسلم رقبته لابن القاضي دون أن يحرك ساكنا للدفاع عن

---

[1]- المصدر السابق ، ص 35.

[2]- المصدر نفسه ، ص 37.

[3]- المصدر نفسه ، ص 38.

[4]- المصدر نفسه ، ص 35.

نفسه ، وهو يعلم أنه لم يرتكب ذنبا سوى أنه أنقذ نفيسة من الموت وأواها حتى شفيت من جراحها .» [1] وغيرها من المقاطع السردية الدالة على الحالة النفسية لأم رابح .

- البعد الاجتماعي :

لم تربط أم رابح أي علاقة ما عدى علاقتها مع ابنها الوحيد الذي كان بمثابة العالم بأسره، فربطتهم علاقة مميزة جدا لم يحضى بها أغلب سكان القرية إن لم نقل كلهم، كما ربطتها علاقة بنفيسة على الرغم من قصر الوقت ، إلا أن أثر هذه العلاقة كان عميق، وحولت مجرى حياتهم للأبد الأمر الذي جعل أم رابح لا تطيق سماع اسمها أو أحد من عائلتها كونهم السبب الرئيسي في أذية ابنها الطيب : « ... كانت ترى فيها قبل قليل الفتاة الحنون الطيبة أصبحت الآن في نظرها فتاة لم تجلب لحياتهم الهادئة رغم بؤسها إلا الشقاء، كيف لهم أن يواجهوا بعد الآن جبروت ابن القاضي سلطانه .» [2]

« إذ أن آخر ما جرى من حوادث كان بسببها، مما جعلها تنفر من سماع اسمها أو ذكر أحد من أفراد عائلتها الذين اعتبرتهم أشخاص قاسين، وأنهم مجرد أناس لا يمتون للإنسانية بصلة بل أن مصالحهم هي من تتحكم في طريقة عيشهم .» [3]

إلا أن نفيسة كانت حمل وجهة نظر مغايرة، فهي معجبة بأم رابح لدرجة أنها في حديثها مع مالك عن ما عاشته من مواقف في منزل رابح أحس بمدى إعجاب نفيسة بأم رابح وكأنها تتمنى خفية أن تكون ابنتها : «أعادت للبؤس جماله وللشقاء راحته وللصمت ألحانه الزاهية»[4]

« نفيسة التي لم تجد في والدتها ما وجدته من ارتياح لدى رحمة المتفردة بفنها، كما في البكماء الجميلة أم الراعي ببساطتها و تفهمها.» [5]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 35 - 36.

[2]- المصدر نفسه ، ص 20.

[3]- المصدر نفسه ، ص 39.

[4]- المصدر نفسه ، ص 37.

[5]- المصدر نفسه ، ص 113.

« كانت تنثر السعادة ... و طعاما رغم بساطته من ألذ ما يكون .» [1]، فظهر حب نفيسة عندما تحدثت مع مالك، من خلال الإنطباع الذي أخذه من كلامها، المعبر عن مدى تقديرها لها ، فهي مناضلة في نظرها كرست حياتها لتربية ابنها لوحدها رغم كل العقبات التي جاءت في طريقها، وكذا عن رابح الذي لم تنكر خيره وفضله عليها، فهو الذي عمل بقدر استطاعته لإكرامها رغم انعدام الإمكانيات .

- **البعد الثقافي :**

بالرغم من أن أم رابح أمية ولم تتلق أي تعليم أكاديمي، إلا أننا نلتمس فيها البعد الثقافي المتجسد في قدرتها على الجعل من الأعشاب خلطة تشفي الإصابات الجسدية ، فهي التي عالجت رابح و نفيسة، وكانت تعتمد على طب التداوي بالأعشاب دون أن تعي ذلك كونه أمر بديهي بالنسبة لها : « كانت أم قد خرجت منذ الصباح الباكر إلى الأحراش المقابلة لكوخها لجلب بعض النباتات التي تداوي الجراح البالغة و توقف الدماء عن السيلان، بعضها من الجبل و أخرى من حواف الوادي أسفل التل .» [2]

« إصرارها في علاج ابنها و هدوء رياح الجنوب حينها ، ما أمدها بالقوة حتى تسلك كل تلك المسافة للبحث عن بعض الأعشاب النادرة .» [3]

« باشرت تدق ما جلبته من أعشاب داخل وعاء حطبي ، مزجتها بقطرات من زيت زيتون كانت تحتفظ بها كما كانت أغلب ربات البيوت يفعلن للعلاج .» [4]

- **شخصية خيرة :**

جسدت خيرة صورة المرأة المغلوب على أمرها، والمعنفة من قبل زوجها، والأم الحزينة ببعد أطفالها عنها فمنهم من مات (زليحة)، ومن هرب كي لا يصبح بضعفها وانكسارها

---

[1]- المصدر السابق ، ص 137.

[2]- المصدر نفسه ، ص 35.

[3]- المصدر نفسه، ص 35.

[4]- المصدر نفسه ، ص 37.

وخضوعها تحت سلطة الزوج المتجبر كنفيسة التي لم تكلف نفسها حتى للتقرب من أمها وتعرف على خيرة كشخص، على هذه الأنثى الطيبة، الكريمة، المسالمة، صورت الكاتبة شخصية خيرة وفق بعدين : جسمي ، نفسي.

- البعد الجسمي :

لم يظهر البعد الجسمي لخيرة في الرواية إلا وكان مقترنا بتعرضها للضرب من قبل زوجها عابد كي ينفس عن غضبه الذي لم يكن لخيرة أي دخل فيه: «... لولا حاله تلك، لكان نفس عن غضبه في زوجته التي كانت تأكل من الضرب ما يغير تفاصيل وجهها .» [1]

لم تصف الكاتبة البنية الشكلية لخيرة، وإنما اكتفت بالتلميح لما يحدث لجسدها بعد الضرب المبرح الذي تتعرض له من قبل زوجها الطاغي .

- البعد النفسي :

لم تكن خيرة إمرأة سعيدة، ولم تحضى بالهدوء والسكينة لا مع زوجها أو أولادها، فنجدها أنثى حزينة على موت إبنتها، وهرب الأخرى الأمر الذي جعلها كثيرة التفكير، خاصة أن زوجها لا يطلعها على المستجدات فتبقى بحسرتها، فتغرق في مخاوفها وتكثر الفرضيات التي تضعها علها تجد الإجابة، ناهيك عن إحساسها بالخيبة إتجاه نفيسة التي لم تقدر مجهودها، ولم تحترمها كما وجب على الأنثى أن تحترم أمها التي أنجبتها وكافحت من أجل تربيتها والعناية بها و المقاطعالآتية خير دليل على ذلك :« خيرة لا تعي ما الذي حدث مع ابنتها إلا ما قد نقله لها عبد القادر .» [2]

« ما كمان لعابد في أي مزاج أن يكون فيه ، أن يخبر زوجته بمستجدات ما يحدث أو بقرارات إتخذها مسبقا و ينوي أمر تنفيذها .» [3]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 31.

[2]- المصدر السابق ، ص 31.

[3]- المصدر نفسه ، ص 31.

فخيرة لا رأي لها في نظر عابد ، ودائما ما تكون هي السبب الرئيسي لأي خطئ ينتج عن أولادها ، مصاحبا ذلك اللوم بالعنف الجسدي : « فكما العادة، كان يلقي بكامل اللوم عليها، و أنها المسؤولة الوحيدة عن التربية السيئة لابنتها ، و الدلال المفرط الذي أعطاها القدرة على فعل ما فعلته كان حتما بسبب تلك الأم المغلوب أمرها .» [1]، وكأن دور الأب يقتصر علىتوفير الغذاء فحسب، وإصدار الأوامر و النواهي .

« ما الذي حل بابنتي الوحيدة ؟ ... هل تعرضت لمكروه ؟ لن أحتمل فقدان ابنة أخرى بسبب جشع والدها في السيطرة على نصف أراضي المنطقة ... مالك كان سببا غير مباشر في موت ابنتها الأولى و هو من سيكون السبب هذه المرة في فقدانها للثانية ، رغم أنه سبب غير مباشر في كليهما ، لكنها لن تتركه يفعل فعلته مرة أخرى مع نفيسة .» [2]

حيث نلتمس هنا تحلي خيرة بالشجاعة و الرغبة في التصدي في وجه من سيحزنها في أولادها، فهي أم والأم مهما كانت ضعيفة إلا أنه عندما يتعلق الأمر بسلامة صغارها يزول ذلك الضعف الذي أحاط بها سابقا، وتصبح مستعدة لمواجهة كل ما هو آتي في سبيل الحفاظ على سلامة أطفالها وكان لنفيسة دور في ذلك ، فردة فعلها القاسية اتجاه والدتها من جعلها تستفيق و تتدارك حالها : « لن ترض أن تكون مصير نفيسة مشابها لمصير ابنتها زليخة، وقد باتت مستعدة للوقوف في وجه زوجها إن اقتضى الأمر، رغم أنها لطالما كانت امرأة خنوعة لا كلمة لها تغلو على أوامر زوجها ونواهيه ... ما أعاد إلى هذه الأم رشدها، كانت تلك الكلمات التي تلفظت بها نفيسة، وهي تزمجر في وجهها رافضة الذل الذي عاشت فيه خيرة، ولن ترضاه لنفسها مهما حدث .» [3]

وبالرغم من هولها بعد سماعها بخبر هرب ابنتها وما حدث في منزل رابح، لم تفقد الأمل في حتمية عودة ابنتها إليها، وبالرغم خوفها الشديد على ابنتها، وعلى ما سيحدث، إلا

[1]– المصدر نفسه ، ص 31.

[2]– المصدر نفسه ، ص 32.

[3]– المصدر نفسه ، ص 33.

أنها حافظت على الأمل الذي بداخلها، ولم تدعه يتلاشى ويحل محله التشاؤم، بل بقيت في صراع داخلي و تفكير لا متناهي : « كان قلب الأم ينبئها بأن ابنتها على خير ما يرام، وأنها ستعود حتما إلى البيت وستتحسن الأحوال في القريب، وأن ما جعلها ترفض العودة هو خوفها من والدها، وخوفها الأكبر من عدم تمكنها من إتمام دراستها وتزويجها كرها من شيخ البلدية ... كانت خيرة غارقة في مخاوفها تأخذ بها فكرة إلى قاع مظلم وتغرقها أخرى في بحر من التساؤلات .» [1]

وبالرغم من أن كلام نفيسة أيقض والدتها و جعلها تدرك مدى خضوعها، إلا أنه حز في نفسها كيف لها أن تتكلم مع أمها التي ولدتها بهذا الأسلوب الوقح :« كانت تلك الكلمات كصفة جاء تأثيرها مدغدغا صفة الأمومة فيها، كيف يمكن لابنة أن تكلم أمها بهذه الطريقة، رغم أنها اعتادت برود هذه الفتاة، أين حدود الأمومة التي لا يجب أن تنتهك ، هل هذا ما علمتها الحياة ...» [2]

وغيرها من الكلام الداخلي و التساؤلات التي تدل على خيبة أمل خيرة في ابنتها نفيسة التي اعتبرتها ابنة عاقة لا تحترم الأم ولا تقدر ما كابدته من عناء لأجل أطفالها، مما جعل تصرفات نفيسة تحزنها، كأنه لم تكتفي هذه المرأة الطيبة من ذل زوجها، حتى يضاعف أطفالها إحساسها بالوحدة وعدم التقدير .

ناهيك عن فضاعة ما أحست به بعدما خسرت كل أطفالها بسبب زوجها المتجبر، بعد هرب ابنها عبد القادر آخر أولادها، لك أن تتخيل قمة الحزن والحيرة التي أحاطت بحياتها بعد فعلته هذه، دون أن نهمل العنف الجسدي المحتمل أنها تعرضت له من قبل عابد، خاصة بعدما شاع بين أهل القرية أن ابن عابد بن القاضي أصبح إرهابي، خائن للوطن.

[1]- المصدر نفسه ، ص 34.

[2]- المصدر نفسه ، ص 33.

- **شخصية عبد القادر :**

عبد القادر هو الابن الأصغر لعابد بن القاضي، وأخ لنفيسة، لم تركز الكاتبة على إبراز ملامح واضحة لهذه الشخصية، بالرغم من أهمية الدور الذي لعبه عبد القادر، فحضوره في الرواية وعلى الرغم من قلته ، إلا أنه ساهم في تغير مسار الأحداث.

جسد شخصية الرجل القاسي منعدم المشاعر والضمير، نتيجة للتعنيف الذي تعرض له في الصغر، سواء كان ضرر جسدي أو صدمة نفسية، الأمر الذي أدى إلى تكوين شخص غير متزن، عديم الإنسانية، وخائن للوطن .

- **البعد الجسمي :** صورت الكاتبة ملامح عبد القادر عند لقائه المأسوي بأخته بعد غياب طويل، فكان ذلك الوصف لبنيته الشكلية دلالة مختصرة لحالته النفسية : « كما أن هيئته المنفردة ولحيته المتشابكة الطويلة والكحل الأسود القاتم الذي لف أهدابه التي كانت تتقد شرارة ... »[1]

فكان هذا الاقتباس هو الدلالة الوحيدة على مظهر الذي آل إليه عبد القادر بعد اتخاذه للجبل مكانة إقامة له منذ هربه من منزل والديه .

- **البعد النفسي :**

كان ينعم عبد القادر بحالة نفسية مستقرة إلى أن قررت أخته نفيسة الهرب من المنزل الأمر الذي حول حياته إلى جحيم نتيجة الضغط الذي عاشه ، فلك أن تتخيل حال طفل صغير يعيش في ضغط أكبر منه، هرب أخته وإقامتها في منزل رجل أجنبي عليها من جهة والتعنيف الجسدي الذي مورس على جسمه الصغير من جهة كمحاولة من والده للتنفيس عن غضبه على طفل لا ذنب له في الأمر :

« مكان لممارسة غضبه على خيرة .. وأحيانا كثيرة على عبد القادر... الذي لم يكن ليكون قربانا صالحا يضحي به هذه المرة حتى يخرج من حالة الخوف التي كانت و ما تزال تفكر

[1]- المصدر السابق ، ص 156.

مضجعه فزعا مما ستؤول إليه الأوضاع بعد تعميم قانون التسيير الذاتي وإصلاح الأراضي .» (1)

فكان عبد القادر ضحية، ناهيك عن النميمة وكثرة الأقاويل ، وهتك سكان القرية لعرضهم و شرفهم ، كلها أسباب جعلته يتمرد تمردا لا يحمد عقباه، باتخاذه الجبل مقر إقامته، وكأنه وجد أو أحس بالانتماء وسط الجماعة الإرهابية، بدلا من إيجاده وسط أهله والمجتمع المحيط به : « إن خبر اختفاء أخي عبد القادر قد عكر مضجعي... إمكانية صعوده للجبل قد أحدثت فس نفسي شرخا كبيرا... لمنعته من ارتكاب خيانة عظمى تجاه الوطن .» [2]

فما مر على عبد القادر من أحداث جعلت منه حاملا لعقد نفسية عميقة، جعلت منه شخص بارد القلب، عديم المشاعر، مليء بالكره والغضب اتجاه الوطن الذي لم يرحمه وقت ضعفه، وهو الآن لن يرحمه وقت قوته : « يرجح أن الجماعة الإرهابية التي قامت بهذا الفعل الشنيع، من منطلق أن المنطقة كانت في الغالب مستهدفة من قبل الإرهابي الخطير عبد القادر بن القاضي المكنى بـ (السفاح) وجماعته .» [3]

كما أن هرب أخته نفيسة بهدف إتمام دراستها، ولد له كره دفين للعلم والتعليم والمعلمين بشكل خاص حاملا غضب وسخط غير منتهي لهذه الفئة من المجتمع كونها السبب الرئيسي في دمار حياته وعائلته :« كانوا يستهدفون كل ممتهن للتعليم وبعد أن قاموا بإيقاف الحافلة... أمروا ركابها بالترجل، ثم قاموا بذبحهم الواحد تلو الآخر في مشهد دموي شنيع يوحي بالسخط و الكره تجاه هذه الفئة بالتحديد .» [4]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 85.

[2]- المصدر نفسه ، ص 150.

[3]- المصدر نفسه ، ص 155.

[4]- المصدر السابق ، ص 155.

- **البعد الاجتماعي :**

ظهر عبد القادر في الرواية على أنه الابن الأصغر لعابد بن القاضي، والابن الوحيد بعد هرب نفيسة من المنزل : « عبد القادر ابنه الوحيد المتبقي .» [1]

كما ظهر على أنه الابن المطيع لأوامر أمه خيرة حين تطلب منه الذهاب لجلب لها بعض المعلومات عن ابنتها نفيسة : « نقل لها عبد القادر عن أن نفيسة كانت مختبئة كل تلك المدة في منزل الراعي، وأن والده قد اقتحم منزله ليلة أمس و حدث ما حدث .» [2]

كما ظهر على أساس أنه الأخ الأصغر لشخصة البطلة نفيسة :« .. قد يكون صديقا لعبد القادر... بنفس عمر أخيها الصغير ...» [3]

« لم تلبث نفيسة أن مالت بتفكيرها إلى أخيها الصغير ، فلربما كانت أمها قد اكتشفت مكان تواجدها و باتت ترسل عبد القادر ليجلب لها الطعام .» [4]

أما المقطع السردي التالي فهو دلالة على أن عبد القادر هو السبب في موت أخته نفيسة : « أن قائد الجماعة الإرهابية هو أخ أصغر لواحدة من المغتالات (نفيسة) أين لم يتعرف عليها وسط الصراخ والهلع الذي أحدثه الركاب وهم يتعرضون للإغتيال .» [5]

كان عبد القادر شخصا معروفا في القرية التي ترعرع فيها، واشتهر على أنه السفاح قائد الجماعة الإرهابية، وكل تلك العمليات التي قام بها زرعت الرعب في النفوس أهل القرية، ومنهم من اضطر لترك القرية خلفه وهرب لمكان آمن، ومن لم يكن له القدرة على الهرب ظل في منزله ينتظر اليوم الذي تصعد روحه إلى خالقها : « من استطاع الرحيل إلى مدن أكثر أمنا لم يتوانى للحظة ... وكأن ما خلفه الاستعمار الفرنسي لم يكن كافيا، حتى يتم هذا الأخير موصلة

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 85.

[2]- المصدر نفسه، ص 31.

[3]- المصدر نفسه ، ص 46.

[4]- المصدر نفسه ، ص 120.

[5]- المصدر نفسه ، ص 156.

تعذيبهم ... كان عدم الأمن سببا أكثر ظلما، وحاجزا ... يمنعهم عن قضاء حوائجهم مهما بلغت أهميتها .» [1]

« ... ما كان لهم رغم علمهم بما قد يحدث من مجازر مستقبلا، إلا أن يواصلوا حياتهم مترقبين الآتي ... ويفكرون في القادم الأتعس .» [2]

فكان وقع عمليات الإغتيال التي قام بها أحد أفراد الوطن ضد أخيه المسلم أشد ألما مما فعله بهم المغتصب الأجنبي، فلا مبرر لمن يقتل أبناء وطنه، ويخون بلده خيانة عظمى، تاركا مأساة وصدع عميق في نفوس بني جلدته .

- شخصية مجهولة :

هذه الشخصية كان لها فضل كبير على نفيسة، فهي التي ساعدتها في الخفاء، ساعدتها في وقت الحاجة، فهي التي كانت تزود نفيسة كل يوم بكيس يحتوي على الطعام أثناء إقامتها في منزل رحمة مختبئة حتى تجد وسيلة للذهاب إلى العاصمة .

قررت الكاتبة أن لا تفصح عن اسم هذه الشخصية، أو عن جنسها، أو عن طبيعة عملها، وإنما فضلت أن تبقى مجهولة، مطبقة بذلك أحد تعاليم ديننا الحنيف المتمثل في " صدقة السر " ، فالمسلم الحقيقي هو من يتصدق في الخفاء، لأن الهدف من الصدقة كسب رضى الله ، لا رضى الناس ، لذلك لا بد من إبقاء الصدقة – مهما كانت طبيعتها مال، طعام لباس ...– بين الله و عبده ، بل وأن لا تدري اليد اليسرى بما أنفقته اليد اليمنى.

وهذا ما طبقته هذه الشخصية المجهولة، والمقاطع السردية الآتية خير دليل على صحة ما قيل سابقا – بالرغم من الذعر الذي أصاب نفيسة في بادئ الأمر ضنا منها أن أحد ما اكتشف مكانها، وجاء يسممها أو يقتلها، خاصة وأنها في ذلك المنزل بمفردها فمن سيحميها–

[1]– المصدر السابق ، ص 13 – 14 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 13 .

:« سمعت نفيسة صوت آتيا من الخارج فتملكها الرعب الشديد، وكأنه وقع أقدام شخص ما.»[1]

« لم تشهد نفيسة خوفا أكثر من هذا قبلا، حتى وهي تواجه الموت في الغابة وحيدة، بل حتى وهي تشاهد والدها يكاد يذبح الراعي .» [2]

« غير العادة ، كيس صغير من الخيش عند عتبة الباب، يشبه إلى حد كبير القفاف التي غالبا ما يأخذ فيها الفلاحون غذائهم في موسم الحصاد أو الحرث... شخصت نفيسة عيناها فيه... فارتبكت أن تقترب منه لترى ما يحويه، ومن قد يكون نسيه هنا أو تركه متعمدا ... هل هناك من اكتشف أمر مكوثها في بيت العجوز و حتما سيشي بها عند أول فرصة .» [3]

عند تحليلنا لما وجد في هذه المقاطع نرجح أن هذه الشخصية المجهولة صاحبة الخير رجلا، فلا امرأة مسموح لها أن تخرج في وقت متأخر من الليل، ويرجح أن هذا الرجل يعمل كفلاح، كون الكيس الذي وجدته نفيسة أمام الباب، هو كيس عادة ما يحمله الفلاحون محملا بغذائهم، والذي من المؤكد أنه تم وضعه هناك عمدا، وفي الليل حتى لا يراه أحد ويكشف ما قام به من عمل، فيخبر عابد بن القاضي لكسب قربه.

فربما هذه الشخصية المجهولة رجل فلاح رأى حركة في منزل رحمة أثناء ذهابه لعمله ولما تأكد من وجود أنثى مختبئة هناك قرر مساعدتها لوجه الله عز وجل، إلا أننا لا ندري ما إذا كان يعلم أن هذه الفتاة هي نفيسة بنت بن القاضي أم لا، ولكن من المرجح أنه يعلم أنها ابنة عابد التي هربت، وإلا فمن ستقيم في منزل امرأة توفت ، ناهيك أنها تقيم هناك لوحدها رغم صغر سنها : « ... كانت نفيسة ما تزال مواظبة على ما اعتادت عليه ، ففي كل أصبوحة تخرج فيها إلى فناء الدار... متأكدة من أن شيئا ما في انتظارها، تمسك بكيس صغير من الخيش يحوي رغيف خبز وحبات معتبرات من التمر أو التين أو اللحم المقدد المطبوخ على

[1]- المصدر نفسه ، ص 91 .

[2]- المصدر نفسه ، ص92 .

[3]-المصدر نفسه ، ص 118 .

البخار ... من قد يكون المسؤول الأول عن جلبه،... فلماذا لا يكشف عن نفسه أمامها وينهي مسرحيته هاته ، ربما لأنه يعرف تمام المعرفة ما هي بحاجة إليه الآن– الطعام –.»[1]

فهذا الشخص لم يكن هدفه هو إيذاء نفيسة، بل مساعدتها في الخفاء، وأعطى بالمجان حسب مفهوم الدين ، لأنه سوف يجازى على عمله هذا في الآخرة و كأن الكاتبة كان لها هي الأخرى سبب خفي في توظيف هذه الشخصية، وكأنها ترسل لقارئ عملها رسالة غير مباشرة ، تذكر فيها من نسى أن الصدقة لا تذكر للغير، ولا داعي لإظهار هويتك للذي تصدقت عليه ، لأن ذلك غير مهم، وإنما المهم و الأهم هو العمل الخيري، والبهجة التي تضعها في نفس أخيك المؤمن عند حاجته، والأهم من ذلك كله أن تساعده دون أن تسبب له أي إحراج .

[1]– المصدر نفسه ، ص 119 .

المبحث الرابع: سيميائية الزمكان:

أ –سيميائية الزمان:

يهتم المنهج السيميائي بدراسة الدلالة الزمنية التي تم تجسيدها داخل العمل الأدبي لما يحمله الزمن من أهمية، فهو يساهم في إنتاج نص روائي سردي متماسك، وعلى هذا الأساس يعد الزمن من المكونات الأساسية الفاعلة في تركيب أحداث الرواية بشكل منطقي متناسق فالأحداث مهما كانت طبيعتها لا يمكن لها أن تخرج عن أطار زمني معين، وبذلك يصبح الزمان بمثابة العمود الفقري الذي تستند عليه أحداث الرواية.

ناهيك أن للزمن أبعاد عدة كل منها تعبر عن فترة معينة، فهو يرمز للماضي، والحاضر والمستقبل في عمل روائي واحد، وفي هذه الدراسة السيميائية إهتممنا باستخراج الأزمنة المتواجدة على مستوى رواية "النهاية" لحميدة شنوفي .

وحصرنا هذه الأزمنة في : 1– الزمن الإستذكاري

2– زمن الإستباق.

3 – الزمن النفسي .

1– الزمن الإستذكاري :

يتمثل الزمن الإستذكاري في استرجاع الأحداث التي جرت في زمن ماضي، فيقوم الكاتب أو شخصية ما داخل العمل الروائي باستحضارها في زمن الحاضر، وهذه الأحداث عادة ما تكون مرتبطة بأشخاص معينين أو بممتلكاتهم التي بقيت كذكرى جميلة منهم بعد رحيلهم، وهذا ما نجده في رواية النهاية.

الزمن الإستذكاري في هذه الرواية اقتصر على تذكر بعض الشخصيات لذكرياتهم مع من فارقتهم الحياة، أو لأشخاص غابت، فلم يكن لها حضور فعلي في العمل الروائي إلا بذكر اسمها وما هو مرتبط بها .

وتعد العجوز رحمة، وزليخة من أكثر الشخصيات التي تذكرها من كانوا مقربين منهما ، إضافة إلى زوج نفيسة (رضا)، وأولادهما، فاتضح الزمن الإستذكاري من خلال المقاطع السردية التي تتحدث عنهم وتدل على تذكر الناس لهم باسترجاع الإحداث إلى جمعتهم معهم.

وفي الغالب كان الإستذكار مقترن بهذه الشخصيات الغائبة، بهدف تنشيط ذاكرة التلقي حتى يتمكن من ربط أجزاء هذا العمل الإبداعي .

- **العجوز رحمة :**

فبالرغم من وفاة هذه المرأة الطيبة إلا أنها ما تزال حاضرة في أغلب عقول أهل القرية وذكرت في العديد من المواقف، ومن بين تلك الشخصيات التي ذكرتها بكثرة هي نفيسة: استرجعت نفيسة الذكريات التي عاشتها مع العجوز رحمة في لحظة ضعفها، فهي التي طالما حمتها واهتمت بمصلحتها: « تذكرت العجوز رحمة ورددت في نفسها أن لو كانت حية ترزق الآن، للجأت إليها حتى تحتمي في بيتها من الأذى » [1]

وتذكرتها عندما مرت بجانب المقبرة :« تذكرت يوم قالت أن السياج هو أفضل حل حتى تصان القبور من هذا التدنيس يوم زارتها برفقة والدتها والعجوز، فردت عليها العجوز رحمة أن الناس فقراء، وإن كانوا لا يستطيعون صيانة دورهم وعقولهم، فكيف لهم أن يصونوا مقبرة ، فهم لا يتذكرونها إلا عندما يدفنون موتاهم » [2]

« وماتزالين تسكنين قلوبنا من بعد وفاتك » [3]

« معك حق يا خالة، فكل كلامك عبر ، و سيبقى ما حفظت منه يلازمني حتى أموت »[4]

إضافة إلى مالك الذي تذكر رحمة في العديد من المواقف منها :

---

[1]- المصدر السابق، ص 21 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 48 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 53 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 107 .

اليوم وفاة الخالة رحمة« تذكر مالك يوم وافت المنية العجوز رحمة، ممسكا يد العجوز جسدها الذي كان يتأوه متحديا حشرجة الموت» [1]

كما تذكرها عند حديثه مع نفيسة حين تعرضت للدغة الأفعى :« لطالما كانت الخالة رحمة تشتكي من تواجد هذا النوع من الزواحف» [2]

ونجد العديد من الأشخاص الذين تذكروا العجوز رحمة بعد وفاتها بسبب صناعتها للفخار، والأواني الفخارية الجميلة الدالة على أن العجوز رحمة حس فني جمالي.

هناك العديد من المقاطع السردية الدالة على تذكر نفيسة للخالة رحمة بسبب أوانيها، ومن بينها نذكر: – تذكرت نفيسة الخالة رحمة بعد مرورها بجانب المقبرة، متذكرة حديثها مع العجوز رحمة التي كانت تضع عدد من الأواني على قبر زوجها حتى يمتلئ بالماء وتشرب منه الطيور كصدقة لزوجها الذي فارق الحياة .

«آه يا خالة ...كنت سأريك مجموعة من الصور لأواني فخارية جميلة حتى تصنعي مثلها ...لكنك رحلت وتركت أوانيك تعيش وحيدة في منزلك الكئيب » [3]

كما تذكرت ما كابدته الخالة رحمة من معاناة لصنع تلك الأواني الجميلة كجمال روحها متذكرة أن تلك الأواني هي سبب وفاتها

تقول حميدة شنوفي:« أعلم أنك كنت الرفيقة الدائمة لهذه الأواني، كما أنك كنت تعيشين من أجلها، لكن لم تكن تطاوعك أحيانا، لأنها كانت في كل مرة تأبى أن تعقل بالطريقة التي تريدينها لها، كما كانت سببا في سقوطك من أعلى التل وسببا مباشرا بعد قدر الله أن تكون من ينهي حياتك » [4]

---

[1]– المصدر السابق ، ص 129–130 .

[2]–المصدر نفسه ، ص 135 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 21 .

[4]– المصدر نفسه ، ص 52 .

« كنت أعدك دائما بجلب أنواع جديدة من الصور، لتصنعي أواني مثلها، لكن الوقت لم يسعفها، و صحتك اللعينة قد خانتك »[1]

« أوانيها.... أوانيها الفخارية كما تركتها أخر مرة ... روحها ما تزال تحرس هذا المكان بما فيه من وحدة و هدوء وسكينة »[2]

« إحدى مقولاتها التي كانت وكأنها تعيش في كل تفصيل من أوانيها " تعلم صنعة وأخفها " كل شيء نتعلمه مفيد ما لا يفسد لا يوجد » [3]

فكان للخالة رحمة حضور سخي في الرواية نظرا لطيبتها، ومحبة الناس لها محبة حقيقية، حتى الموت لم ينسيهم فيها، ولا حتى المواقف الصعبة، بل أنهم تذكروها في أصعب أيامهم كدلالة على قيمتها و حكمتها و نصائحها التي كانت تعود بالمنفعة على كل من يستمع لها .

- **زليخة :**

بالرغم من مرور فترة زمنية طويلة على موت زليخة، إلا أنها ما تزال حية ترزق في أذهان وقلوب من أحبوها بصدق، وهذا دليل على مدى طيبة هذه الفتاة، فذكرت في مرات عدة في الرواية، ومن بين الشخصيات التي تذكرتها :

تذكرت خيرة ابنتها المتوفاة زليخة وهي متحسرة لشدة الفرق بينها وبين ابنتها الأخرى نفيسة، فهذه الأخيرة غيرتها المدينة على حسب رأي أمها وجعلت منها ابنة كسولة عاقة على عكس ابنتها الكبرى زليخة التي لم تسئ يوما لأمها إلى أن وافتها المنية :«إن كانت لم تفعل ذلك بزليخة ، فلماذا فعلت فعلتها بنفيسة ؟ هل تغير الوضع منذ ذلك الوقت جعل البشر أكثر فطنة وأكثر قسوة ؟ » [4]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 53 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 49 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 107 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 33 .

تذكرها مالك في مواقف عدة، بل إن صح القول هو لم ينساها أبدا حتى لو أراد ذلك، خاصة بعد رأيته لأختها الشبيهة لخطيبته المتوفاة لحد غير معقول:«...كم الشبه بينها وبين زليخة.»[1]

ذكرتها الكاتبة في مرات عدة منها ما هو مرتبط بمالك، ومنها ما هو مرتبط بأبيها عابد، ومنها ما هو مرتبط بأمها خيرة، وكلها متعلقة بطريقة أو بأخرى بأحداث جرت في زمن الماضي.

ذكرت الكاتبة عمق العلاقة التي ربطت مالك بخطيبته زليخة، وبنيت من خلالها مدى تمسك مالك بذكرياته معها، متحفظا بكل تفاصيلها في ذاكرته :« ذلك الفتى الذي لم تعد البسمة تداعب ثغره منذ حادثة وفاة خطيبته زليخة»[2]

« كم الشبه بينها و بين زليخة ، و لحظة تمنيه أن تكون كل هذه التفاصيل مجرد فيلم ... لكان أعاد الزمن إلى الوراء و تفادي فقدانه لزليخة »[3]

كما ذكرت رأي خيرة حول رفض نفيسة الزواج من خطيب أختها السابق، متذكرة مدى حبه لها قبل وفاة زليخة:

«.... كان في أحد الأيام خاطبا لأختها ، و عاشقا لها »[4]

ذكرت الكاتبة ماجرى من أحداث ماضية بسبب زليخة، مسترجعة ذكرى أليمة: « عابد الذي بسبب طباعه التملكية أقدم في وقت ما على أن يشي بمالك ورفقائه من مجاهدي ثورة التحرير انتقاما لروح ابنته المتوفاة جراء لغم... كان يستهدف قطار لجنود الإستعمار.» [5]

- رضا: (زوج نفيسة):

---

[1]- المصدر السابق ، ص 97 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 33 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 97 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 33.

[5]- المصدر نفسه ، ص97.

تحدثت عنه نفيسة بصيغة الماضي في رسالة لن تبعثها لأحد ، فذكرت طيبة وحسن معاملته لها، وكونه من أسباب سعادتها :« ... تزوجت برجل رائع (رضا) – رجل متخلق، وخجول وطيب ... عاملني معاملة حسنة، لا أجد معها تذمرا لحياتي الجديدة التي اخترت... والحمد لله .» [1]

-أولاد نفيسة :

ذكرت نفيسة أولادها الثلاثة في نفس الرسالة السابقة، بنفس الصيغة : «... رزقت منه بطفلتين وولد، اسميت الكبرى زليخة على اسم أختي المتوفاة، و الصغرى على اسم أمي... أما الولد فقد أطلقت عليه اسم أخي عبد القادر.» [2]

وكانت تسميتها لأولادها على اسم عائلتها التي تركتها كمحاولة منها الإحساس بالألفة والسكينة .

2-زمن الإستباق:

الزمن الإستباقي هو عبارة عن توقع للمستقبل و استحضاره عن طريق استباق الكاتب، أو الشخصية لزمن الحاضر، و تجاوزه لتنبؤ ما يحمله المستقبل من أحداث سردية، الأمر الذي أضاف جمالية لهذا البناء الفني الروائي، ومن المقاطع السردية الدالة على الزمن الإستباقي في رواية " النهاية " نذكر :

استبقت نفيسة الأحداث في العديد من الأحيان، ومن أفضل المقاطع السردية الدالة على ذلك: تنبؤ نفيسة لمصيرها إن عادت لمنزل والدها بعد هربها منه، ثم هربها مرة ثانية من منزل رابح :« من المؤكد أنهم سيزوجونني بشيخ البلدية كرها هذا إن قبل بي من الأساس بعد وصمة العار هذه، أو أنهم سيزوجونني بالراعي... هذا ما لن أحتمل حدوثه .» [3]

---

[1]- المصدر السابق ، ص32 .

[2]- المصدر نفسه، 34 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 98 .

وكذا توقعها لمصيرها إن عادت لمنزل والديها :« إنها ستكون الضحية التالية، والدها لن يرحمها رغم أنها ابنته الوحيدة.» [1]

تصور ما يمكن أن يحدث لنفيسة إن تهورت وسلكت الطريق الخطأ مرة أخرى :«إن كانت قد نجت من الموت بسبب حظ تواجد الراعي في الغابة لإسعافها من لسعة الثعبان، فإنها لن تسلم هذه المرة من ذئاب ووحوش الغابة المفترسة .» [2]

ونلتمس ذلك الإستباق أيضا في رسالة كتبتها:« أكتب هذه الرسالة بعد مرور خمس وعشرين سنة كاملة مدركة أني لنأرسلها يوما، لكني سأكتبها... قررت أن أعود إلى مسقط رأسي... سأعود مرفوعة الرأس .»[3]، فهنا نجدها أقرت بأمر لم يحدث بعد ، ومؤكدة حدوثه في المستقبل .

بالإضافة إلى مالك، فهو الأخر استبق بعض من الأحداث، و تأكده من حدوثها مستقبلا، والمقاطع السردية الآتية خير دليل على ذلك:

تنبؤ مالك بأن تطبيق قانون التسيير الذاتي والإصلاح الزراعي سيجعل عابد يتخلى عن فكرة تزويج ابنته لمالك، لأنه سيكون على يقين بأن هذه المصاهرة لن يعود عليه بأي منفعة:« فكر مالك يقينا أن صدور القرار وتنفيذه قبل إتمام هذا الزواج، سيهدم كل فكرة تجوب رأس عابد وستحول دون تحقيق ما يريده، كان ليلغي فكرة تزويج ابنته منه حتى يضمن بقاء الأرض بحوزته .» [4]

وتوقعه لرد فعل الناس إن فتح مع أحد أهل القرية موضوع هرب نفيسة، كونه يدرك طبيعتهم المحبة للثرثرة، وطريقة تفكيرهم المليئة بسوء الظن :«ما كان له أن يناقش الأمر مع أي كان، خاصة إن كان مع أحد سكان القرية، أنه سيفتح على نفيسة أبوابا من الصعب غلق

---

[1] – المصدر السابق ، ص 19.

[2] – المصدر نفسه ، ص 149 .

[3] – المصدر نفسه ، 21.

[4] – المصدر نفسه ، 42 .

أفواه المثرثرين فيها، وهو يعلم الآن أن الجميع سيفسر امتناعه عن التقدم لها – أن لا أحد مهما كانت مكانته له أن يقبل بامرأة في سن الثامنة عشر تهرب من بيتها لأسباب مجهولة، إلا إن كانت حسب نظرتهم غير عفيفة .» [1]

بالإضافة إلى عابد بن القاضي الذي توقع مستقبله إن تم تطبيق قانون التسيير الذاتي على أرض الواقع، وتنبؤه لما سيحدث جعله يعيش في جو مليئ بالخوف والرهبة مما هو آتي : «حالة الخوف التي كانت وما تزال تعكر مضجعه فزعا مما ستؤول إليه الأوضاع بعد تعميم قانون التسيير الذاتي وإصلاح الأراضي المزمع العمل به في المستقبل القريب.» [2]، وكذا تنبؤ الفلاحين لموسم خصب بعد معاناة طويلة من الجفاف: «كان سكانها يتنبؤن لموسم فلاحي خصب، عن ما كانوا قد ألفوه منذ سنوات.» [3] ومن الملاحظة على هذه الرواية أن الإستباقات فيها قليلة.

3-الزمن النفسي

الزمن النفسي واحد من أهم العناصر المكونة للرواية كونه «يرتبط كثيرا بعنصر الشخصية، فهي التي تعيشه حين تتأمل الحاضر، أو تتذكر الماضي، أو تستبشر المستقبل، ويعتمد الزمن النفسي في الرواية على تذكر والهذيان...، يصور معاناة الإنسان في العالم.» [4]

و في تتبعنا لأحداث رواية "النهاية " لا حظنا وجود هذا الزمن، خاصة عند نفيسة، وهي شخصية أصابتها حالة نفسية مضطربة نتيجة ما مر عليها من أحداث كثيرة في عمر الثامن عشر مما جعلها تعيش فترة مليئة بالإحساس بالوحدة، الضيق، الإهمال، الحسرة، التذمر من الواقع الذي فرض عليها، بل ورفضه.

---

[1] – المصدر السابق ، 147 .

[2] – المصدر نفسه، ص 85.

[3] – المصدر نفسه ، ص 16.

[4] – منير شرفي، الزمن النفسي في رواية الاز للطاهر وطار، جامعة تبسة، د ت، ص 289 .

والمقاطع السردية الآتية خير دليل على ذلك:« رغم خفة أشعة الشمس على أجسادنا هناك ثقل عظيم على يجثم على أرواحنا... من أكثر الناس قربا إلينا فلا بيوت تؤوينا و لا أنفس تهتم لحياتنا أو موتنا.» [1] ، فهذا المقطع يبين لنا الحالة النفسية التي عاشتها نفيسة في فترة هربها من المنزل بسبب التضييق الذي مورس عليها.

إضافة إلى تذمرها من عادات القرية التي لم تستطع التكيف معها للإختلاف الشديد بين الريف والمدينة «ناهيك عن سنوات حياتها التي فقدتها في بيئة مختلفة عن تلك البيئة في الضحك أو كلام مع الرجال قد يفهم بالخطأ... كان لها أن تضطر لارتداء ملابس تغطي كامل جسدها وتمنعها من الشعور بالراحة ودرجة الحرارة هنا لا يمكن تحملها، لكنها كانت تدرك أنها تعيش في مكانين مختلفين، يفكر كل شخص يعيش في أحدهما بطريقة تشبه في اختلافها تعاقب ساعات الليل والنهار، فقد كانت في كل مرة تظهر فيها لقضاء عطلة الصيف في القرية أن تتظاهر بأشياء كثيرة .» [2].

وتذمرها من بعض الأطعمة: «... البيض هو الطعام الوحيد الذي لم تكن تفضله نفيسة، فقد وجد التذمر طريقا إلى نفسها، ومكرهة كانت تأكله، بل مجبرة حتى لا يكون الجوع سببا في عودتها إلى السجن والدتها كما تسميه.» [3]

كما أن طريقة تفكير أهل القرية يوترها، لأن تفكيرهم رجعي يقلل من شأن المرأة ، وكأن الرجل وحده من يحمل صفة الإنسان، ولا حق للمرأة في هذه الصفة الأمر الذي جعلها ترغب في التحرر من تلك القيود الوهمية التي فرضتها عليها سلطة المجتمع الذكوري: «الوأد كان عقابا لكل من تولد أنثى منذ الجاهلية، والأمر سيان هنا في هذه القرية اللعينة... حتى أنهم باتوا يزوجونهن في سن ما تزلن فيه تلعبن بالدمى.» [4]

---

[1]– حميد شنوفي، المصدر السابق، ص 50.

[2]– المصدر نفسه، ص 55.

[3]– المصدر نفسه ، ص 88.

[4]– المصدر نفسه ، ص 55.

ما دفعها بالنزوع إلى الحرية، و تحدي كل من هدف إلى قمع المرأة، لأنه في نظرها لا يوجد أغلى من المرأة كونها متفردة: «إن المرء و لو وصل به الأمر إلى أقصى محنة في حياته فإنه مع ذلك تبقى له حرية اختيار موقفه... كان محورها الرئيسي المرأة... هذا الشيء الفريد، إذن المرأة في نظرها شيء مقدس، لا يمكن أن يضحى بها لأجل الأرض، ولا حتى لأجل الرجــل.» [1]

ويظهر الزمن لنفسي أيضا في المقطع السردي الآتي:« ساعدني يا الله... على أن أجد حلا، أين تختبئ تلك القوية والجريئة في داخلي، من تحدت مبادئ هذا المجتمع وتسلط ذلك الوالد وجبروته... سيكون علي التحرك والسفر بما أملكه من قطع نقدية سيكون علي هذه المرة اختيار الطريق الصحيح وسلكه، وإلا لن أخرج من هذه المحاولة حية.» [2] ، فمن شدة حسرتها ورغبتها في الذهاب إلى العاصمة، ولإتمام دراستها التي منعها منها والدها لتحقيق مصالحه الشخصية، باتت تغامر بحياتها لأجلها، وتفكر و تخطط لطريقة تخرجها من هذا المأزق الذي فرض عليها المجتمع أن تعيشه، الأمر الذي تجعلها تعاني وتنتفض رغم صغر سنها.

ب- سيميائية المكان:

يسلط الدرس السيميائي الضوء على الأماكن التي تذكر في العمل الروائي، كون المكان يعد من العناصر الأساسية المكونة للرواية.

بالإضافة إلى كونه يحمل دلالات متنوعة منها ما هو نفسي، وما هو إجتماعي، وما هو سياسي، مما جعل من المكان مادة غنية للدراسة السيميائية التي تهتم بالبحث عن الدلالات بأنواعها، وهذا ما نسعى إلى استخراجه بدراسة الأماكن المذكورة في رواية "النهاية" دراسة سميائية، مقسمين هذه الأخيرة إلى : 1 - دلالة الأماكن المفتوحة.

2 - دلالة الأماكن المغلقة.

[1]- المصدر السابق ، ص 84.

[2]- المصدر نفسه، ص 101.

1- دلالة الأماكن المفتوحة:

المقصود بالأماكن المفتوحة، تلك الأماكن التي تدل على الإتساع الذي يسهل الحركة وكذا الأماكن التي يستطيع عامة الناس الدخول إليها، فهي الحيز الحاضن لكل البشر.

ومن الأماكن المفتوحة في رواية "النهاية"، والتي اخترناها بهدف استخراج الدلالات التي حملتها نذكر: القرية (الريف)، العاصمة (المدينة)، المدرسة، المقهى، الطبيعة، الحافلة.

وقع الإختيار على هذه الأماكن بالتحديد لأهميتها داخل المتن الروائي، فمعظم الأحداث المهمة جرت في هذه الأماكن أو بسببها أو لأجلها:

- القرية:

كانت القرية بمثابة الحيز الأساسي الذي شغل مساحة الروايةّ، كون معظم أحداث الرواية حدثت هناك، ومعظم الشخصيات كانت مقيمة في الريف (القرية) لذلك عدت القرية حيز خصب، وكانت القرية رمز للشقاء، المكافحة اليومية، البؤس، الإضطهاد، الفقر، النميمة...، والمقاطع السردية الآتية ما هي إلا دليل ساعدنا على استخراج الصفات، الرموز، التي سبق ذكرها:

«كانت القرى تكاد تكون خالية من السكان، بما فيها القرى القريبة من الغابات الكثيفة والأحراش التي يصعب على الدواب الوصول إليها.» [1]

«البادية مكان لممارسة الشقاء و البؤس لا غير... أما زوارها كانوا يترقبون نهاية العطلة بفارغ الصبر، حتى يعودوا إلى المدينة .» [2]

«... إيجاد طريقة تهرب بها من هذا السجن البائس هكذا كانت ترى هذه القرية النائية، بأراضيها القاحلة وجبالها الجرداء و ينابيعها الجافة، وسمائها الملبدة على الدوام بغبار رياح الجنوب الغاضبة .» [3]

---

[1]- المصدر السابق، ص 13.

[2]- المصدر نفسه ، ص 17.

[3]- المصدر نفسه، ص 43.

ضف إلى ذلك صغر حجم القرية ساعد على نشر الأخبار بين القاطنين فيها، وبالتالي كثرت النميمة بينهم، فكان الإحساس بالرقابة قد بلغ ذروته: « القرية صغيرة و الكل يعرفون بعض، و يمكن لأي كان أن ينقل خبر تواجدها في إحدى تلك البيوت بسهولة.» [1]

كما نلتمس أن هذه القرية لا أمل فيها، لأن سكانها لا أمل فيهم: « حال القرية هو ذاك لا عمل سكانها إلا أن يلوكوا أخبار وقصص بعضهم البعض في روتين يبدؤون به يومهم.» [2]

ومع ذلك يبقى للقرية محبيها، بالرغم من كل ما فيها من مساوئ التي لا يمكن عدها إلا أنها تبقى المكان الذي ولدوا فيه:«... إذ أن اشتياقه لهذه القرية ما كان له أن يخفيه حتى لو أثارت حفيظته طريقة تفكير سكانها.» [3] ، وبشكل عام كانت القرية مصدر شقاء للفقراء الذين لم يعرفوا يوما الراحة والرخاء .

- العاصمة:

شغلت حيز مهم في الرواية، فكانت رمز لكل ما هو مرغوب فيه لما تحمله المدينة من تحضر ورقي وأمن ورخاء، وحرية، وإمكانيات لن تتمكن القرية من توفيرها مهما بذلت من جهد لأن المدينة فيها كل مقومات التي تسمح لسكانها بالعيش الكريم بما في ذلك المناخ: «المدينة التي كانوا يرون أنها أصلح مكان للعيش.» [4]

« لو كنت الآن بالمدينة لذهبت أين ما أشاء، ولتكلمت بحرية و عبرت عن كل ما يجول في خاطري.» [5]

ضف إلى ذلك أن المدينة إتسمت بالخصوصية، فكان القاطن فيها يفتقد الإحساس برقابة الآخرين، فكان القاطن فيها يشبهها كونها طبعت فيه لمستها، فأصبح غني عن مراقبة

---

[1]- المصدر السابق ، ص 47.

[2]- المصدر نفسه، ص 150.

[3]- المصدر نفسه ، ص 73.

[4]- المصدر نفسه ، ص 17.

[5]- المصدر نفسه، ص 54-55.

الآخرين في شؤونهم:« ... خلاف ما كان سائدا في المدن إذ أن الناس لا تتبع أخبار بعض ولكل حياة خاصة يعيشها.» [1]

فكانت الحياة في المدن عكس ما هو متواجد في القرى النائية، والفرق هنا لم يقصر على الأماكن فحسب، بل شمل سكان كل منهما، فحملت كل من القرية والعاصمة دلالات مقترنة بسلوكات قاطنيها .

« ربما كانت مختلفة عنهم، والسبب ما طبعته المدينة من خبرات لن تصل القرية إلى مثلها من التطور مهما كابدت، ولن يصل سكانها للرفعة والتحضر الذي ساق عقلي و قلبي لفكرة أن العيش في مكان غيرها هو ضرب حقيقي من الجنون.» [2]، فكانت العاصمة رمزا لتطور والحضارة والرقي نظرا لإهتمام أهلها بتطويرها، وتطور معها.

- المدرسة:

كان للمدرسة دور هام في تحريك أحداث الرواية، فهي التي تساهم في تغذية العقل وتطوير تفكير الإنسان، وبالتالي تطوير منطقة والمساهمة في ازدهارها، وهذا ما أدركه كل من المعلم الطاهر ونفيسة، فحبهم للمدرسة والدراسة لم يكن اعتباطيا، في حين لم يستطع أهل القرية استيعاب أهمية المدرسة ودورها الهام في بناء وإصلاح ما خربه الإستعمار والإرهاب.

فنجد من هو محب لهذا المكان ومن هو غير مهتم به ومن هو كاره له، ويتضح لنا ذلك من خلال المقطع السردية التالية: «التعليم كان ليكون حلا مفيدا للعديد من التعقيدات.» [3]

«... أنفرد مع تلاميذي... و أمارس حريتي... فالتعليم كما تعلم حياتي...» [4]

« إذا علمت ولدا فقد علمت فردا، و إذا علمت بنتا فقد علمت أمة .» [5]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 73.

[2]- المصدر نفسه ، ص 150.

[3]- المصدر نفسه ، ص 94.

[4]- المصدر نفسه، ص 81-82.

[5]- المصدر نفسه ، ص 83.

« سأكرس وقتي من أجل القرية.... آثرت أن أمنح قريتي بعضا مما أتقنته طوال سنوات خدمتي في هذا المجال.» [1]

وفي المقابل نجد من لا يحاول حتى أو يبذل أدنى جهد في سبيل العلم والتعليم، وكان أغلبهم من سكان القرى النائية، الأمر الذي جعل تفكيرهم رجعي، يتسم بالسطحية: « لم أسمع منذ عودتي إلى هنا عن فتاة لم يتعدى سنها الثامنة عشرة أن والدها أرسلها للدراسة في العاصمة.» [2]

« أغلبهم لا يمكن له أن يشكل جملة مفيدة واحدة باللغة العربية، ولو كان كذلك لإستطاعوا أن يعطوا تعريفا لهذا القانون، كمثال حي عند إلقائك لبنوده على مسامعهم.» [3]

« فلا المدرسة تعنيهم بل ارتياد المقهى وتبادل الأقاويل، ولا كانوا يفكرون في الأطباء في وجود الطلاب والمشعوذ.» [4]

فكان عدم ارتدادهم للمدارس سببا رئيسيا في جهلهم وتخلفهم، بل والبقاء في ذلك التخلف الذي يزيد حياتهم الشقية شقاء إضافيا.

وكأن كل هذا الإهمال لم يكفي ليأتي من يهدف لتدميرها للأبد، والقضاء على المدارس الجزائرية والمعلمين اللذين اختاروا أشرف وأعظم مهنة يمكن للإنسان امتهانها، فهو الحجر الأساس إن هوجم وسقط سيسقط كل شيء معه، وهذا ما هدفت له الجماعة الإرهابية:« تصاعدت عمليات الإغتيال الواسعة التي باتت تشنها الجماعات الإرهابية مستهدفة المدرسة الجزائرية، محاولة بشتى الطرق إحكام غلق أبوابها في وجوه المتمدرسين والمعلمين على سـواء.» [5]

---

[1]- المصدر نفسه، ص 148.

[2]- المصدر نفسه ، ص89.

[3]- المصدر نفسه، ص 94.

[4]- المصدر نفسه، ص 95.

[5]- المصدر نفسه ، ص 154.

«أخ يقتل أخته الوحيدة، فقط لأنها اختارت أنبل مهنة وهي التعليم.» [1]

فكانت المدرسة رمز للأمل، وهذا الأمل سيظل حيا مادامت المدرسة قائمة، و مايزال هناك محبين للتعلم والتعليم فسيبقى هناك أمل دائم في التطور والإزدهار.

- المقهى:

كان للمقهى مكانة مميزة في رواية النهاية، حيث كان يقصده كل سكان القرية،خاصة العاطلين عن العمل، فكان المقهى بمثابة بؤرة إجتماعية، يقضي فيه أهل القرية معظم وقتهم في التسلية و النميمة، كما كان له دور مهم فشعبيته جعلت منه المقصد الرئيسي لمن أراد نشر الأخبار أو الإجتماعات: « فلم يسلم المقهى من أحاديثهم و تغامزهم على من يقع في مشكلة بينهم.» [2]

«غالبا ما يرتاد المقهى ويتبادل أطراف الحديث مع الناس.» [3]

كما كانت مقر الأقاويل والحديث في شرف أهل القرية، خاصة الذي أصابته مصيبة كسرة ظهره:« لينتهي بهم المطاف في المقهى جالسين طوال النهار مضيعين أوقاتهم في لعب الدومينو، والتقامر على هذا وانتقاد ذلك.» [4]

إلا أن المقهى لم يكن مكانا يقصده أهل القرية لتضييع الوقت وكسب الذنوب فقط، بل مكانا يستفيد منه البعض، فمالك اختار المقهى ليلقي فيه خطابه، كون المقهى مكان استراتيجي، يضمن من خلاله أن رسالته ستصل لمسامع الجميع حتى الذين لم يحضروا لذلك الإجتماع: « توجه مالك باتجاه المقهى.. إذ أن ما جاء به إلى القرية صباحا كان أهم من أن يلهيه عن أدائه عارض رغم أهميته.» [5]

---

[1]- المصدر نفسه، ص 156.

[2]- المصدر نفسه ، ص8.

[3]- المصدر نفسه، ص45.

[4]- المصدر نفسه ، ص118.

[5]- المصدر نفسه ، ص66.

«اختار مالك مكانا على طاولة عادة ما يجلس عليها ضيوف المقهى، من منبر يمكن للجميع فيه سماعه.» [1] وبهذا يكون المقهى قد حمل دلالات عدة، أغلبها رمزت للبطالة، التسكع، النميمة.

- الحافلة:

بالرغم من الحضور المحدود للحافلة إلا أنه كان لها دور في غاية الأهمية، فكانت رمز للرواية ككل بالرغم من أن حضور الحافلة كان مرتبط بنفيسة إلا أنها غيرت و حركت الأحداث إلى مسار مغاير تمام: « كانت الحافلة على وشك أن تبلغ الطريق الفرعي المؤدي للقرية... أغلب الحافلات التي تتنقل من العاصمة نحو القرى، تبلغ من القدم ما يجعل محركها كلما ارتفعت درجة حرارته يتوقف... سرعتها لا تتعدى سرعة راكب على صهوة حصان.» [2]

الحافلة كانت المحرك الفعلي للأحداث، فهي التي توفت فيها نفيسة جراء عملية الإغتيال التي قامت بها جماعة إرهابية تحارب المعلمين والعلم ككل: « كانت الحافلة ما تزال تجابه تعرجات ذلك المسلك الضبابي الغابي... كانت الأشجار المرصوفة على حافة الطريق تبدو كأشباح مخيفة، وكأنها مجموعة رجال ملتحي الوجوه تبدو عليهم سمات قطاع الطرق، وكأن أغصانها التي تتلاعب بها الرياح القبلي هذا المساء مجموعة بنادق ورشاشات تصوب باتجاههم، وكأن صوت أوراقها المخيفة بلون الغبار تأمرهم أن يترجلوا من الحافلة الواحد تلو الأخر، لمواجهة مصيرهم المحتوم... مرت كل تلك التخيلات في ذهن كل واحد منهم، وكأنها مزيج بين حقيقة وسراب... دوى انفجار قوي أضاء جوانب الطريق.. وما لبث أن انطفئ توهجه .. وخف اتقاده.. ثم عم سكون مطبق.» [3] فكانت الحافلة رمز للنهاية، نهاية بطلة الرواية "نفيسة"، كما رمزت للعنف، الظلم، الغدر، خيانة أبناء الوطن لبني بلدتهم، ومعاقبتهم على ذنب لم يرتكبوه.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 68.

[2]- المصدر نفسه ، ص13.

[3]- المصدر نفسه ، ص15.

- الطبيعة:

كان للطبيعة حيز واسع جدا في الرواية، فكثر حضور الطبيعة القروية بأرضها، وهواءها وريحها و شمسها.

في العادة ترمز الطبيعة بتفاصيلها للجمال، النقاء، الإطمئنان النفسي وكذا الجسدي، إلا أننا هذا ما لا نجده في الطبيعة القروية المصورة في هذه الرواية، والمقاطع السردية التالية خير دليل على ذلك:

« ما تزال رياح القبلي تداعب أغصان الأشجار بقوة غير معتادة، وتلهو بأوراقها المشبعة بالغبار، وما تزال أزهار الربى الشوكية كلما تفتحت إحداها لاحت ألسنة الأنغام باتجاهها، فقضت على ما كانت سترسمه من لوحات فنية مشبعة بالقسوة على واجهات الربى والجبال ، لوحات ترسم معاناة سكان القرية التي لم تنته بعد.» [1]

« تنهدت ريح الجنوب معلنة عن صيف شارف على نهايته والقرية وسهولها تتلفظ آخر أنفاسها جراء الجفاف الذي لازمها طيلة أشهر كاملة .» [2]

« كانت ريح الجنوب المصحوبة بلفحات الشمس الحارقة تواصل زمجرتها في الوجوه ، لافحة إياه ومانعة سكان القرية من التحرك بحرية في الأرجاء.» [3]

فكانت ريح الجنوب ترمز للشقاء، الإضطراب، القسوة ، إلا أنها لم تكتفي بهذا فقط، بل رمز الريح للعدل وتغلب الحق على الباطل، وكذا رمز للقوة والمتانة: « فبقيت رياح الجنوب تزمجر معلنة انتصار الحق على الباطل لأن الريح بما تحمله من قوة تقضي على كل ما هو ملتو، ذو أسس غير متينة بل وتكسر سلطة كل من يبني مجده على أرض لا يتمنى تملكها إلا من أجل الاستحواذ لا غير.» [4]

---

[1]- المصدر نفسه ، ص7.

[2]- المصدر نفسه، ص 16.

[3]- المصدر نفسه ، ص88.

[4]- المصدر نفسه ، ص41.

ورمز الريح للغضب والثورة والحزن حسب أهل القرية: «... يوم تتنهد ريح الجنوب (القبلي) معلنة حالة حزن تفسر خطأ على أنها غضب و ثورة واستنكار.» [1]

«... مارست غضبها ليلة أمس بعنف لم تهدأ زوابعها التي ما يزال غبارها الذي... يغير ألوان الطبيعة إلى الرمادي، فلا أشجار البلوط و الصنوبر بقيت تحافظ على اخضرار أوراقها، ولا أسقف المنازل تخلصت من كم الغبار المتراكم فوق قرميدها.» [2]

كما نجد أن الشمس حملت أشعتها دلالات قوية هي الأخرى: « ما تزال أشعة الشمس الشهباء تلفح الوجوه منذ الساعات الأولى للصباح، وبمجرد إطلالتها الحارقة من خلف الغيوم، ترحب بنفسها ضيقة ثقيلة الظل على سكان القرية، وما كان لهم إلى تحملها لأداء مشاغل حياتهم التي لا تنتهي.» [3]

« بمجرد أن تتسلل أشعة الشمس الحارقة بين الأغصان فكأنها تعدم برودة ما تشكله ظلالها على سطح الأرض، لتحيله جافا ساخنا.» [4]

« تمطط الصباح ناشرا حرارة شمس حارقة كانت تلفح الوجوه بمجرد شقها كثافة إحدى السحب المشبعة بالغبار... تحيل السماء إلى كومة من زوابع ورمال تذهب عن الجو هدوئه.» [5]

فرمزت الشمس وأشعتها الحارقة للغم والتعاسة، والبأس الذي يعاني منه سكان القرية بسبب أشعتها المستفزة والخاطفة للهدوء والرحمة.

إلا أنها ترمز أيضا للقوة والصلابة ويتضح ذلك من خلال تأقلم سكان القرية وتكييفهم مع هذا الحر الناجم عن تلك الأشعة التي لا ترحم: « كان سكان القرية رغم حرارة الجو ليلا،

---

[1]- المصدر نفسه، ص104.

[2]- المصدر نفسه ، ص75.

[3]- المصدر نفسه ، ص14.

[4]- المصدر نفسه ، ص30-31.

[5]- المصدر نفسه، ص 60.

بعد أن تختفي أشعة الشمس التي كانت تعتبر المصدر الرئيسي للحرارة، لا يستطيعون النوم من دون لحاف، حتى والحرارة تلفح أجسادهم.» [1]

أما الأرض فكان لها الدور الأكبر، كون القضية تعالج قضية المرأة والأرض، فكانت الأرض بمثابة الشيء المقدس الذي لابد من امتلاكه و إحكام القبض عليه .

الأمر الذي أدى إلى ظهور فئة مختلفة، منها من تملكه التجبر ورغب في امتلاك الأرض بغية فرض السيطرة، ومنها من تهرب من خدمتها لصعوبة الأرض القروية ولعدم امتلاكه لأدوات فلاحية متطورة من جهة،و من جهة أخرى لم يرى الجدوى من خدمة الأرض والتعب على ما لا يملكه، وهناك فئة مغايرة تماما، فئة كرست حياتها لخدمة الأرض، والحرص على أن تقع في أيادي ترغب في خدمتها والتحسين من وضعها لتتحسن البلاد .

ومن المقاطع الدالة على الفئة الإنتهازية، المتسلطة: « شرها لامتلاك الأرض على حساب باقي الفلاحين.» [2]

«لا تنفك الأنانية تكبلنا، فثبت فينا سموم حب التملك، الكل يريد الأرض لنفسه، فهي الثروة الوحيدة التي لا تزول.» [3]

وفي المقابل نجد فئة ملت من خدمتها لصعوبتها من جهة ولعدم امتلاكهم لها من جهة أخرى: « أغلبهم مل من خدمة الأرض لصعوبة الأمر وقسوته، كان عليهم التفكير في البدء بعملية الحرث والزرع، لكن الأمر كان أصعب مما يتخيلون، مع ما كانوا يمتلكون من أدوات فلاحية بدائية و تحت ذريعة أن أغلبهم يعمل في أرض ليست ملكا له.» [4]

«... توزيعها على الفلاحين وهم لا يحبون خدمة الأرض ضرب حقيقي من الجنون.»[5]

---

[1]- المصدر السابق ، ص27.

[2]- المصدر نفسه ، ص39.

[3]- المصدر نفسه، ص113-114.

[4]- المصدر نفسه، ص16.

[5]- المصدر السابق، ص 113.

إلا أننا نجد فئة أحبت و عرفت قيمة الأرض، واهتمت لخدمتها بحق، بغض النظر عن المتاعب الناجمة عن ذلك ، لأن الأرض تستحق ذلك ، فهي تعطي لمن أعطى: «... منهم من تشغله خدمة أرضه منذ وقت الفجر.»[1]

« أدواته البدائية التي كان يستخدمها في خدمة الأرض تظهـره على أنه مجرد فلاح بسيط .» [2]

«.. فما فعل و ما ينوي فعله سيجعل من هذه الأرض خصبة في أيديهذا الشعب الفقير.» [3]

فالمواطن الصالح يعي أنه رغم كل الصعاب التي تواجهه، وتعسر عليه عملية خدمة الأرض لن تقف بينه وبين وطنيته فهذه الأرض رمز للإنتماء، ناهيك أن خدماته سوف تعود عليه بالنفع فالأرض تعطي ضعف ما أخذت: «...يعرف أكثر من غيره بأن الأرض لا تتغير أبدا، كلما أعطيتها أعطتك أكثر، بل إنها تعطي أكثر مما تأخذ في الغالب، هكذا هي معطاءة على الدوام..الانتماء هو أن تبقى هذه الأرض تسكن قلوبنا مهما ابتعدنا.»[4]

«... الأرض بالنسبة له خط أحمر لا ينبغي تعديه.»[5]

فكانت للأرض دلالات مختلفة كل منها على حسب وجهة نظر الراغب في امتلاكها، إلا أنه بصفة عامة رمزت الأرض للقوة، التملك، الجشع، العطاء، الشقاء، والأهم من ذلك كله رمزت للوطن و الوطنية و الإنتماء.

2- دلالة الأماكن المغلقة:

تحيل الأماكن المغلقة للفضاء الضيق، عكس الفضاء السابق (المفتوح)، إلا أن كلاهما يشكلان ثنائية ضدية تساهم في تكوين فضاء روائي متماسك، وإضفاء جمالية للمكان.

---

[1]- المصدر نفسه ، ص48.

[2]- المصدر نفسه ، ص 112 .

[3]- المصدر نفسه، ص 63.

[4]- المصدر نفسه ، ص 63.

[5]- المصدر نفسه، ص 64.

والأماكن المغلقة في رواية "النهاية" اقتصرت على الأماكن التي يقيم فيها الشخصيات سواء بشكل دائم أو مؤقت، وبإرادته الحرة أو بغير إرادته، وهي أماكن ذات مساحة محدودة.

لعبت هذه الأماكن المغقلة دورا هاما في الرواية، فهي التي ساهمت في تبيين شخصية المقيمين فيها، وتفاعلهم داخلها المتراوح بين ما هو إيجابي وما هو سلبي، على حسب الذكريات المرتبطة ارتباطا وثيقا بها. ومن الأماكن المغلقة التي كان لها حضور بارز في الرواية: البيت – الذي كان له الحضور الأكبر فتراوح حضوره بين دار عابد ،و بيت رحمة، وبيت رابح، وبيت العجوز المريض–، بالإضافة إلى الغرفة (الحجرة)، وكذا الفراش (السرير).

– البيت:

البيت من أهم الأماكن المغلقة فهو عادة ما يكون مرتبط بالهدوء، الخصوصية، الراحة، الأمان... إلا أنه في رواية "النهاية" نجد كل بيت له صفات ارتبطت بالمواقف التي حدثت داخله، أو مرتبطة بملاكه ، فمنه من حمل معاني طيبة مريحة، ومنه من حمل معاني النفور والحنقو الإمتغاض.

– دار عابد:

بالرغم من الرخاء والرفاهية التي يوحي بها منزل عابد، إلا أنه انعدمت فيه أهم خاصية وهي "الملاذ" ، فالأولاد اعتبروا منزل والديهم ملجأ لهم لما يفتقر من الهدوء والحنان والألفة، الأمر الذي جعل ابنته تفضل الهرب والإقامة في أي مكان –منعدم الرفاهية– ، على العودة إلى ذلك الجحيم، فعند وقوعها في مأزق أول بدر في ذهنها العودة إلى منزل والدتها، إلا أنها سرعان ما تخلت عن تلك الفكرة:« أول مكان خطر في بالها كان منزل والديها حيث هناك من ينتظرها... »[1]

« اقتنعت أن عواقب عودتها ستكون وخيمة .»[2]

[1]– المصدر السابق، ص 18.

[2]– المصدر السابق، ص 20.

« تحدث نفسها متذكرة الترف الذي كانت تعيش فيه في منزل والديها، رغم أنه كان بالنسبة لها كالسجن.»[1]

« سأغير وجهتي رافضة العودة إلى منزلي.»[2]

فكان نفور نفيسة من منزل والديها مرتبط بنفورها من والديها، ورفضها لطريقة تفكيرهم أما شكل البيت وأثاثه لم يكن له أي دخل .

حتى أن صاحب المنزل أصبح يختنق منه بعدما كسر شرفه: «أصبح بيته مقبرة...»[3] و بصفة عامة رمز منزل عابد للثراء، السجن، المخافة، البغض.

بيت رحمة:

فرض بيت رحمة وجوده رغم أن كلمة "كوخ" هي الأنسب له لإفتقاره لوسائل الراحة، إلا أنه حمل دلالات عدة تم استخراجها من المقطع السردية الآتية :« .. المكان الأصلح لها، حيث لا لأحد أن يكتشف أمر تواجدها فيه، إنه بيت الخالة رحمة .»[4]

« كانت نفيسة تدرك وهي تختار بيت العجوز رحمة أنه سيكون حلها الوحيد والمجدي.»[5]

فكان منزل رحمة بمثابة ملجئ لها، الملجأ الذي لم تجده في منزل والدها وهم على قيد الحياة، ووجدته في منزل عجوز متوفاة.

كان كوخ رحمة يحمل مكانة كبيرة في قلوب محبيها، وبعد وفاتها انتقلت تلك المعزة إلى كوخها، ورغم الفقر الباد عليه والبأس الذي حل به خاصة بعد وفاتها، إلا أنه ظل محافظ على

---

[1]- المصدر نفسه، ص 53.

[2]- المصدر نفسه، ص 91.

[3]- المصدر نفسه، ص 85.

[4]- المصدر نفسه، ص 49.

[5]- المصدر نفسه، ص 58.

مكانه في القلوب:« كان منزل رحمة مكان مفعما بالطيبة والارتياح رغم بساطته.»[1]، والراحة هنا اقتصرت على الراحة النفسية .

«...هذا الكوخ المهجور حتى كوخك هذا قد اشتاق إليك يتمنى عودتك.»[2]

« بيت رحمة هو الرابط الوحيد الذي يجمعني بهذه القرية بعد الأرض وقبر اختك زليخة طبعا.»[3] وبذلك يكون منزل رحمة رمز للحب، المودة، الرحمة، الإطمئنان، الملجأ، وكذا الفقر والمشقة .

- بيت رابح:

جسد منزل رابح معاني كثيرة، فكان هو ملجأ نفيسة وقت ضياعها، وبالرغم صغره وانعدام إمكانيات الراحة فيه، إلا أنه كان أفضل من منزل عابد كون المنزل ارتبط بالقيمة المعنوية أكثر من المادية: « تلك الربو العالية التي تؤدي إلى بيت الراعي.»[4]

« مكوثها في بيت الراعي لتسع أيام كاملة كانت حلها الوحيد.»[5]

« في إحدى جوانب ذلك الكوخ الفقير، كان رابح مددا على حصير بال.»[6]

«أرادت العودة إلى بيت الراعي لتطمئن على البكماء، وإن كان رابحا ما يزال على قيد الحياة ... و كأن طيبة و حنان العالم بأسره قد استيقظا في داخلها.»[7]

فرمز هذا الكوخ الصغير للفقر، المشقة، وكذا للحب والألفة والمساعدة، ففترة مكوث نفيسة في منزل رابح غيرت منها، جعلتها أكثر رقة، فقد ترك هذا البيت المشرق رغم فقره لمسته فيها و جعلتها تشبهه من الداخل.

---

[1]- المصدر السابق ، ص 129.

[2]- المصدر نفسه، ص 52.

[3]- المصدر نفسه ،ص 30.

[4]- المصدر نفسه، ص 26-27.

[5]- المصدر نفسه، ص 38.

[6]- المصدر نفسه، ص 90

[7]- المصدر نفسه، ص 48.

كما رمز هذا الكوخ للرعب، والدم، والعنف، والظلم: « كانت ساحة كوخ بيت الراعي قد ارتاحت من هول ما أحدثته مشادات الكلام واللطم والتهديد بالموس، التي جعلت منها مسرحا تراجيديا للأحداث ونهايات لم تكن في الحسبان.»[1]

فحمل بيت رابح دلالات متناقضة تراوحت بين: الإطمئنان والإرتعاش، بين الحماية والأذى، بين الحب والحقد، بين الرفق والعنف.

- بيت العجوز المريض:

رمز هذا البيت للطيبة، المودة، الإعانة، الإغاثة، وكذا رمز للكرم والتواضع: « انتهى بي المطاف في بيت أحد الأناس الطيبين.»[2]

« دخلته ليلة البارحة كضيق مرحب به.»[3]

«شكرتها على حسن الضيافة.»[4]

«البيت بيتك، يمكنك المكوث هنا قدر ما تشائين.»[5].

« منزل طوبي صغير كان يبدو متواضعا جدا، يخلو من كل ظروف الحياة الرغيدة التي كانت تحياها في بيت والدها، يشبه إلى حد كبير بيت الراعي لكن غرفه واسعة وكثيرة.»[6] ، وغيرها من المقاطع السردية الدالة كرم أهل هذا البيت الجد متواضع .

- الحجرة:

الحجرة هي المكان الذي تكون نسبة الخصوصية فيه عالية، وهو المكان المغلق الذي يعطي لصاحبه الراحة:

---

[1]- المصدر السابق، ص 37.

[2]- المصدر نفسه، ص 143.

[3]- المصدر نفسه، ص 44.

[4]- المصدر نفسه، ص 47.

[5]- المصدر نفسه، ص 26.

[6]- المصدر نفسه ، ص 24.

« كانت نفيسة تقضي جل وقتها في تلك الغرفة، تفكر في نهاية سريعة ... وإما في القراءة أو تدوين ملاحظاتها.»[1]

إلا أنها رمزت أيضا للفقر فأغلب سكان القرية لم تكن بيوتهم تملك تلك الرفاهية التي تسمح لكل واحد منهم بامتلاك حجر خاصة به: « أغلبهم كان ينام في غرف مشتركة، كانت المرأة قد اقتادت نفيسة إلى حجرة أخرى وطرحت حصيرا في إحدى أركانها، لكن نفيسة في هذه الليلة ستنام مع المرأة، لمفردهما، فالعجوز وابنها غالبا سينامان في غرفة خارجية تشبه الفناء، جدرانها من قصب.»[2]

كما دلت الحجرة على الحياة الريفية والروتين القروي الذي تقوم به نساء القرية: « كانت المرأة تحمل وعاء حديديا (قزديرة) وعلى الأرجح كان مليئا بالحليب، لأنها خرجت للتو من حجرة حيطانها من القصب، يصدر منها صوت ماعز و خراف.»[3]

رمزت أيضا للخوف: «كانت الغرفة قابعة في الظلام.. وفجأة.. وكأن طيف شخص ما قد مر من أمامها توا، و كأنه بعرف تفاصيل الغرفة وجوانبها.. وكأن ضوء القمر من يبعث على كل تلك الهلوسات.»[4]، فالتمسنا ذلك الخوف بدخول مالك للغرفة ليلا دون علم مسبق لنفيسة بذلك.

- **الفراش:**

الفراش- السرير- حمل دلالات عدة في هذه الرواية ولم يقتصر على الدلالات المرتبطة بالليل فقط كالنوم والراحة الجسدية، بل شمل نشاطات تمارس في النهار أيضا، فالسرير هو مكان للراحة والإسترخاء ومكان للجلوس والتفكير أو القراءة... فأعطى أيضا راحة نفسية :«

[1]- المصدر السابق، ص 87.

[2]- المصدر نفسه، ص 27-28.

[3]- المصدر نفسه، ص 45.

[4]- المصدر نفسه، ص 125.

بسطت فيها فراشا وكومت أخرى حتى شكلت وسادة واستلقت تحمل دفترا وقلما لتباشر الكتابة، كانت ترى في النوم ملاذ يفنيها عن التفكير في وضعها التعيس.»[1]

«استمرت نفيسة تقلب دفترها، إلى أن سرقها النعاس لتغط بعدها فينوم عميق.»[2]

«... جلست نفيسة على فراش كانت في العادة تنام عليه و تجلس أحيانا أخرى فتفكر أو تقرأ أو تكتب.»[3]

«كلما ضاقت به الدنيا استلقي على سريره و حدث نفسه .»[4]

كما رمز السرير للفقر والغنى الذي يكون واضح للغاية من خلال نوعية الفراش، وخشونة ملمسه من نعومته: « كانت نفيسة تستعد الإستلقاء في فراشها الذي لم تكن تحب الجلوس عليه، ذلك أن خشونة ملمسه لم تشهد لها من قبل حتى في بيت والديها.»[5]

وفي الغالب رمز الفراش في هذه الرواية للبؤس والعوز والمعاناة اليومية في القرى النائية، كما رمز في بعض الأحيان للسكينة.

ج – علاقة المكان بالزمان:

يعتبر المكان و الزمان عنصران سرديان مكملان لدور بعضهما البعض و يوحدانه، فكل منهما يستحضر الآخر بالضرورة حتى تتم الدلالة المقصود طرحها، نظرا للعلاقة الوثيقة الذي جمعتهما ببعض، وتظهر قوة هذه العلاقة من خلال مصطلح " الزمكان" الذي اختصر الحديث عن طبيعة هذه العلاقة.

وبذلك يصبح الأول متمم للثاني، من منطلق أن الزمان تميز بالتغير على عكس المكان الذي تميز بالثبات.

---

[1]– المصدر السابق، ص 59.

[2]– المصدر نفسه، ص 60.

[3]– المصدر نفسه، ص 88.

[4]– المصدر نفسه، ص 99.

[5]– المصدر نفسه، ص 122.

وفي رواية "النهاية " نجد أن الكاتبة مزجت بين زمن الحاضر والماضي (الإسترجاع)، بل وأن الزمن الحاضر يتغير وكذا الماضي، فهي سردت لنا مجرى أحداث حصلت على مدار ثمانية وعشرون سنة.

فكان في بعض المواقف يصبح الحاضر ماض، وفي حين المكان يبقى نفسه، بالرغم من تراوحه بين القرية و العاصمة، إلا أن كل منهما حافظ على صفته رغم مرور وقت طويل.

وعلى هذا الأساس تتضح علاقة الزمان بالمكان في هذا العمل الإبداعي، حيث عمدت الكاتبة على استجلاب أحداث وذكريات على لسان الشخصيات المحورية، لسرد أحداث ماضية ارتبطت بمكان معين (القرية، العاصمة بشكل رئيسي) حتى يتمكن القارئ من فهم الحاضر عن طريق استرجاع ما جرى في الماضي، خاصة وأن رواية "النهاية" هي رواية مكملة لرواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة الصادرة سنة 1971، و الذي جعل لروايته نهاية مفتوحة، لتأتي حميدة شوفي وتضع لها نهاية تليق بأبطالها حسب وجهة نظرها والتي نشرتها سنة 2019.

ولهذا السبب عكفت الكاتبة على خاصية الإستذكار واستحضار أحداث ماضية لها علاقة متأصلة بالمكان الذي تمحورت حوله الرواية – وهو ما فصلنا فيه سابقا– والجدير بالذكر أن الكاتبة لم توزع الزمن بشكل اعتباطي، بل أجادت التصرف فيه، وفي ربطه بالأماكن التي أعانت وسهلت عملية الإستذكار والإسترجاع (فلاش باك) يتضح ذلك في الرسائل التي بعثها كل من مالك ونفسية لبعضهم البعض، وعلى الرغم من قلتهم فنجد الرواية تبدأ بالعنوان التالي: « القرية...أوت... أغسطس صيف 1965.»[1] و هي رسالة من مالك أرسلها لنفيسة يعلـمها بما حدث من تغيرات في القرية بعد رحيلها.

[1]– المصدر السابق، ص 7.

– رسالة أخرى من نفيسة لمالك بعنوان: « العاصمة... أوت، أغسطس، صيف 1965.»[1] تعلمه هي الأخرى بالتغيرات التي طرأت على نفسيتها و أفعالها بعد ذهابها للعاصمة، وباتت تشتاق للقرية وأصبحت تتبع تعاليم أمها التي كانت تتذمر منها " كالصلاة ".

نستنتج أن الزمن الحاضر هو "1965" أي سنة بعد هرب نفيسة من القرية، ورسالة مالك سردت الحاضر في ذلك الوقت وأخبرها عن موت بعض الأشخاص وبقاء حال البعض الأخر كما هو مثل والديها: « إن حال والديك كما تركتهما.. أعلمك أن القرية شهدت بضع وفيات...»[2]

أما رسالة نفيسة فجمعت بين الحاضر والماضي، فذكرت حالها اليوم في حاضر 1965: « **بت** أبكي من دون سبب، بت أشعر أن العاصمة قد ضاقت علي...»[3].

واسترجعت ذكرياتها التي ربطتها بالقرية قبل هروبها ، تلك الذكريات التي جعلت منها محبة للقرية وتشتاق لها بعد هربها: « أشعر بوحدة قاتلة، لم أشعر بمثلها و أنا أقيم بينكم.»[4] بل و تسترجع ذكريات أقدم من ذلك، فعادت بها الذاكرة لزمن أبعد يوم كانت أمها تحثها على الصلاة و عدم تركها: « لم أذكر أني تركتها يوما، فريضة كانت أو نافلة، فهذه كانت رغبة أمي... أذكر إلحاحها علي حتى أمارسها...»[5]

ثم تنقلنا لزمن مغاير تماما، بأحداث أخرى تبدأ بعنوان:« أوت أغسطس، صيف1992.»[6] حيث أصبح هذا الزمن هو الحاضر، زمن العشرية السوداء، بينت لنا فيه الحاضر الذي أصبح يعيش فيه سكان القرية بعدما نشطت عمليات الإغتيال التي يقوم بها

---

[1]– المصدر نفسه ، ص 11.

[2]– المصدر السابق، ص 7–8.

[3]– المصدر نفسه، ص 11.

[4]– المصدر نفسه ، ص 11.

[5]– المصدر نفسه، ص 12.

[6]– المصدر نفسه ، ص 13.

الإرهاب، ملمحة لنا أن نفيسة في تلك اللحظة وفي ذلك العام –الحاضر1992 – كانت متوجهة للقرية في تلك الحافلة وهي تسترجع ذكرياتها بمجرد ما رأت تلك الأراض: « لم تتغير هذه الأرض منذ ثمان و عشرون سنة، ما تزال أشعة الشمس شهباء...»[1]

فتعود بنا لماض قديم سنة 1964، وبدأت بسرد الأحداث التي جرت في الماضي، وبدأت ذلك السرد بعنوان: « فلاش باك أوت... أغسطس... صيف1964.»[2] تحدثت بشكل مطول عن كل الأحداث التي جرت لها بعد اكتشاف والدها أنها كانت مقيمة في منزل رابح الراعي وإقامتها في منزل العجوز المريض وكذا منزل رحمة بعد هربها من منزل رابح وما تكبدته من عناء حتى تمكنت من الهرب للعاصمة بعد مساعدة مالك لها.. كل تلك الأحداث التي تذكرتها، وهي بصدد الدخول للقرية بعد ثمان وعشرون سنة، سردت بشكل جعلت من القارئ ينغمس معها، و يشعر بأن ذلك هو حاضر الرواية، و بذلك يتغير مرة أخرى كل من الحاضر والماضي و يبقى المكان ثابت.

فتسرد حاضرها بعد هربها سنة 1964، و أحيانا تسترجع ذكريات حدثت لها، (كما جرى لها مع رابح الراعي) قبل هربها سنة 1964، أي في نفس السنة إلا أنه ماض قريب..

فجمعت الكاتبة بين الزمان والمكان ونوعت بين الماضي وكذا الحاضر، حتى ترسم صورة سردية في غاية الوضوح لقارئ عملها الأدبي الإبداعي، محافظة على المكان (القرية – العاصمة) .

وفي آخر الرواية تعود مرة أخرى لزمن العشرية السوداء برسالة كتبتها نفيسة عنوانها: « العاصمة، أوت، أغسطس، عام 1992 (رسالة لم ترسل قط).»[3]

---

[1]– المصدر نفسه، ص 14.

[2]– المصدر السابق ، ص 16.

[3]– المصدر نفسه ، ص 147.

تحدثت فيها نفيسة عن ما حققته من إنجازات – بعد إنفصالها عن القرية – كإتمام دراستها وجامعتها وزواجها وإنجابها..، وتصرح بأنها عائدة للقرية بعد ما تقاعدت، لتكرس ما تبقى من عمرها لتعليم أهل القرية.

نستنتج أن تلك الرسالة هي ماض قريب، لأنها كتبت تلك الرسالة في العاصمة قبل توجهها نحو القرية في نفس السنة – 1992 –، فيصبح حاضر البطلة الفعلي، ويتضح من خلال العنوان التالي وهو آخر عنوان: « القرية...أوت...أغسطس...صيف 1992.»[1]

ظلت نفيسة غارقة في استرجاع ذكرياتها الماضية التي إرتبطت بمكان ولادتها –القرية– فقد عادت بذهنية مغايرة عن التي غادرت بها، وهي الآن أصبحت إمرأة ناضجة مدركة لقيمة هذه القرية، وأصبحت ترى جمالها بعد مرور فترة من الزمن جعلتها تستوعب وتكتشف ما ترغب به حقا، وما سيحدث لها في طريق العودة إلى مسقط رأسها :« تأخذني تلك الذكريات إلى أول مرة زرت فيها المكان... وها أنا أعود إليه ثانية بعد ثمان وعشرون سنة... أيتها الريح، يا ثورة... عدت من أجلك... عدت لأثبت أنك كنت الشيء الوحيد الحقيقي الذي حدث معي وسيحدث... كنت الأسطورة الوحيدة الحقيقية في الماضي..كنت كنبوءة لهلاك آت لا محالة.

بعد ثمان و عشرون سنة لم أفعل شيء سوى البحث عنك في سطور كتاباتي وبين تعرجات ذكرياتي التائهة...إلى هذه الأرض الذي نبذتها يوما... اليوم و أنا أعود إلى مسقط رأسي وأنا أمر في ذات الطريق الذي كنت أراه في زمن مضى مستحيلا، عدت مرت أخرى ألمح تعرجاته متداركة أحلامي التائهة، أحلام أضاعها تجبر قاومت قوته حتى الرمق الأخير...»[2]

[1]– المصدر السابق ، ص 151.

[2]– المصدر نفسه ، ص 151–153.

فكانت هذه المقاطع السردية خير مثال على حسن توظيف الكاتبة لعنصري الزمان، والمكان، و إبراز مدى العلاقة الوثيقة التي جمعت كل منهما، فمن الواضح أن أحدهما بالفعل مكمل للآخر، و كذا تآلفهما مع العناصر السردية الأخرى.

المبحث الخامس: المربع السيميائي:

إن الدراسات التي قمنا بها سابقا سمحت لنا برؤية الرواية ومعالمها من زاوية أكثر وضوحا، الأمر الذي مكننا من تجسيد ما تحمله من دلالات على النموذج الغريماسي المعروف بمصطلح المربع السيمائي، وهو الذي يهتم بتحليل الدلالات السيمائية للنصوص السردية على المستوى العميق.

في هذا المبحث سوف نحاول استخراج الثنائيات الضدية الموجودة في متن رواية النهاية، من بينها : ثنائية (الهروب/العودة)، (البكم/التحدث)، (التباهي/التراوي).

و سوف نمثل هذه الثنائية الضدية وفق السيمائية على النحو التالي:

1- هروب نفيسة من القرية ⟵ عودة نفيسة إلى القرية.

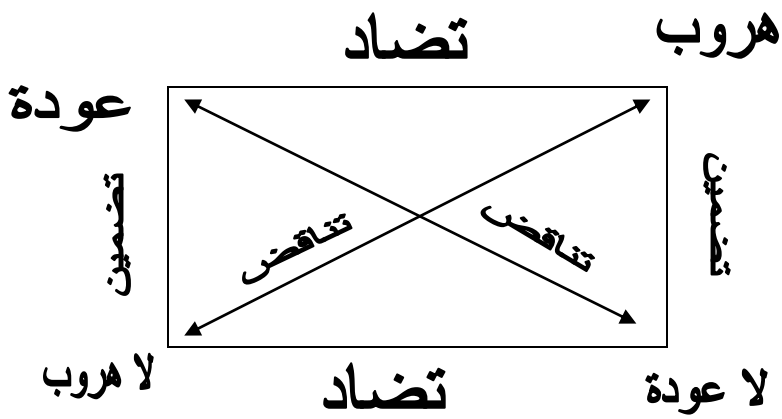

وعليه فإن هذا المربع هو مبني على التضاد بين دلالة (الهروب/ العودة)، والهروب هنا يرمز إلى هرب نفيسة من القرية بهدف إكمال دراستها في العاصمة، التي سعى والدها من حرمانها منها وتزويجها لخطيب اختها المتوفاة، كون هذا الزواج يخدم مصالح عابد بن القاضي أب نفيسة، إلا أن هذه الأخيرة تعود إلى القرية التي طالما نفرت من أهلها، وعاداتهم وتقاليده.

الأمر الذي يقودنا لثنائية (النفي والإثبات)، وعليه فإن نفي الهروب يعني لا هروب، ويثبت ذلك من خلال شوقها الدائم للقرية أثناء إقامتها في العاصمة، وعدم قدرتها على تخطي الذكريات التي عاشتها في القرية، الأمر الذي جعلها تكن مشاعر الحب والشوق لتراب الريف وريحه القبلية، وبالتالي فهو إثبات العودة، والمخطط الآتي يوضح ذلك:

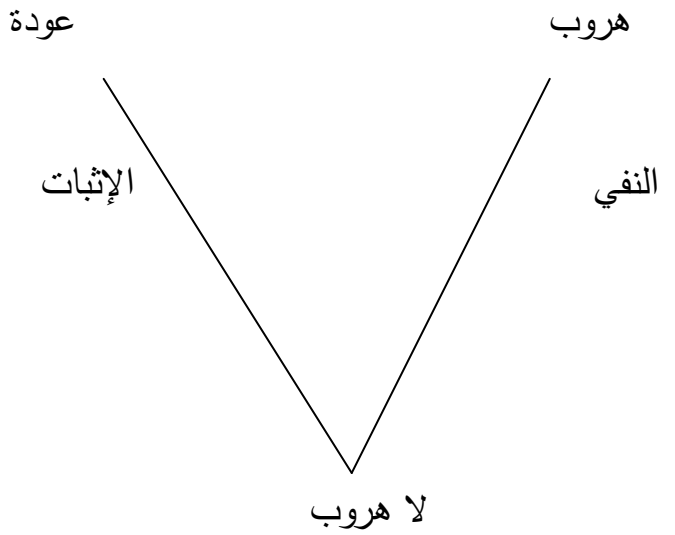

2- بكم أم رابح ⟵ تحدث أم رابح.

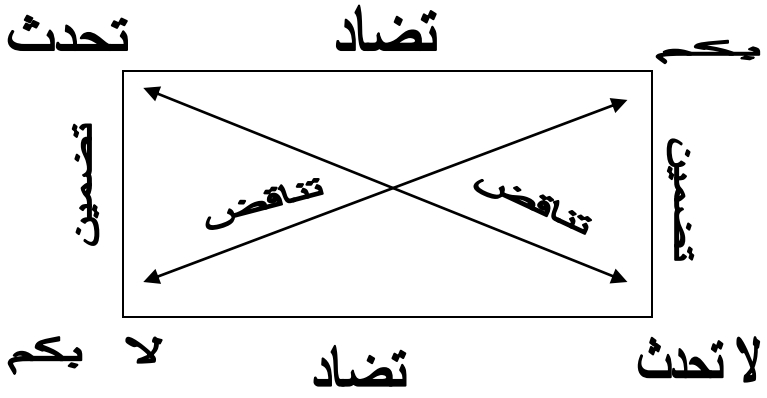

وعليه فإن هذا المربع هو مبني على التضاد بين دلالة (البكم/التحدث)، والبكم هنا يرمز إلى المرض الذي عانت منه أم رابح منذ صغرها بسبب الإرتفاع الشديد لدرجة حرارة جسمها، الأمر الذي أدى إلى فقدانها نعمة الكلام، إلا أنها في الأخير تسترجع صوتها، وقدرة التحدث.

الأمر الذي يأخذنا إلى الثنائية (النفي والإثبات)، وعليه فإن نفي الكلام يعني لا بكم ويثبت ذلك الأزمة الحادة والهلع الفضيع الذي عاشته أم رابح عند رؤية ابنها الوحيد يكاد يموت على يد عابد بن القاضي، ورؤيته يذبح أمام أعينها بمثابة صدمة عظيمة أعادت لها صوتها ودوت القرية بصراخها، وبالتالي فهو إثبات التحدث، والمخطط الآتي يوضح ذلك:

بكم تحدث

تباهي لا تواري

النفي الإثبات

لا بكم

4- تباهي عابد بن القاضي ـــ ـــــــ تواري عابد بن القاضي

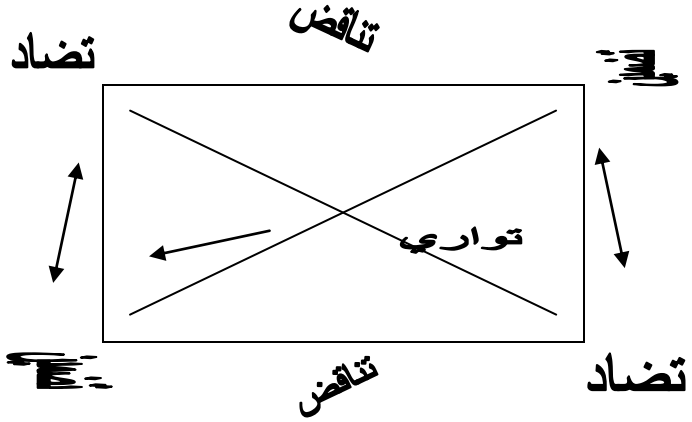

وعليه فإن هذا المربع مبني على التضاد بين دلالة (التباهي/التواري) والتباهي هنا يرمز إلى تباهي عابد بن القاضي بأملاكه وأراضيه الموفرة له الحياة الكريمة التي يحلم بها معظم سكان القرية الفقراء، فهو في نظره ونظر أهل القرية يملك كل شيء وأهم ممتلكاته هي

الأرض والمرأة، إلا أنه في الأخير تنكسر شوكته ويصبح يميل إلى الإنعزال والتواري عن الأنظار.

وهنا يأتي دور ثنائية (النفي والإثبات)، وعليه فإن نفي التباهي يعني لا تباهي، ويثبت ذلك ابتعاد عابد بن القاضي عن الناس بعدما كسر شرفه، فهو يعي أن أهل القرية مولوعين بالثرثرة وكثرة الأقاويل خاصة في المقاهي، ومن المستحيل أن يتغاضوا عن الحديث في الكارثة التي أصابته بوصمة عار دائمة، فهو من فشل كأب بعد هرب ابنته، واتخاذها لكوخ رابح الراعي مكان إقامة لها لأيام طويلة، الأمر الذي أفقده هيبته ووقاره، ناهيك عن القانون الجديد الذي سوف يسلبه أراضيه، وبالتالي فهو إثبات لتواري، والمخطط الآتي يوضح ذلك:

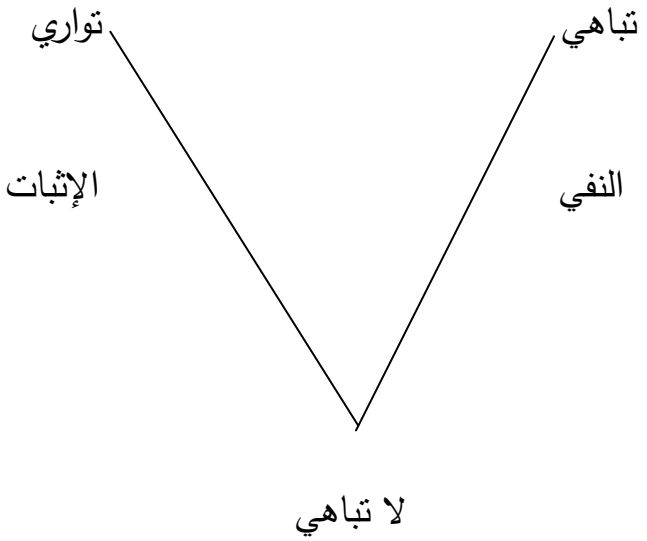

خاتمة

أفرزت دراستنا السيميائية لرواية "النهاية" مجموعة من النتائج، أهمها:

– هدفت الروايات الجزائرية عامة بتصوير المجتمع، واعتبرت الثورة التحررية المجيدة أهم موضوع لها، و كذا ما تبعها من تحولات مست كل المجالات السائدة في المجتمع، ورواية "النهاية" سارت على نفس النهج خاصة الذي سارت عليه رواية ريح الجنوب .

– رواية "النهاية" حملت عنوان إيجابيا له علاقة مرتبطة بالمحتوى الذي طرحته، فكان هذا العنوان والغلاف بمثابة دلالة مختصرة للقضية المعالجة، وبالتالي بين البناء الشكلي للنص السردي و مضمونه.

– حافظت الكاتبة على البناء الشكلي للشخصيات المتواجدة في "ريح الجنوب" ، كون "النهاية " هي تتمة لها، إلا أننا نلحظ بعض التغيرات في ذوات البعض منهم، وإضافتها لشخصيات أخرى ساهمت في خدمة و توصيل الرسالة بشكل أوضح – مكانة المرأة والأرض وسط المجتمع الذكوري المتسلط في غالب الأحيان– .

– تمكنت الكاتبة من وصف الأبعاد المكونة لهوية الشخصيات الروائية، خاصة الرئيسية.

– حمل الزمان والمكان دلالات في غاية الأهمية، كون كل منهما ارتبط بالواقع الجزائري مجسدا محنته، فجعلت الكاتبة من المكان حامل لدلالات ربطتها بفترات زمنية مختلفة من جهة، وبالشخصيات من جهة أخرى، كون هذا الأخير هو من يقوم بعملية استحضار الماضي، والتمعن في الحاضر والتطلع للمستقبل.

ملاحق

لمحة عن الرواية:

تعد رواية "النهاية" لحميدة شنوفي الصادرة سنة 2019، رواية متميزة، حيث « كرمت الكاتبة الصاعدة حميدة شنوفي بروايتها " النهاية " الصادرة عن دار الخيال للنشر والترجمة الأديب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة عبر إحياء رائعته " ريح الجنوب" .»[1]، كما أهدت هذه الرواية إلى الإحدى عشر معلمة... ضحايا العشرية السوداء.

تحصلت رواية النهاية على الرتبة الثانية في« جائزة رئيس الجمهورية للمبدعين علي معاشي في طبعة 2020. »[2]، وعمدت فيها حميدة شنوفي *لإعادة سرد ما جاء به هدوقة، مضيفة لمستها الخاصة، فقد بدأت أحداث رواية "النهاية" عند النقطة التي انتهت عندها رواية "ريح الجنوب"، فكانت هذه الرواية تحمل بداية مغايرة و جديدة لشخوصها، مستعينة بماضيهم في بعض الأحيان، فنرى نفس الشخصيات بنفس الأشخاص وبمصير مغاير، أفكار مختلفة، متمردة.

هذه الرواية لم تقتصر أحداثها على تجسيد حياة العائلات الجزائرية بعد فترة الإستقلال فحسب، بل تطرقت للأزمة النفسية والخسائر البشرية التي عانوا منها في فترة العشرية السوداء، فكانت أحداث هذه الرواية تتراوح بين أحداث جرت على مدار ثمان وعشرون سنة (من 1964 إلى 1992) معظمها كانت على لسان نفيسة البطلة الثائرة، الشجاعة الرافضة للخضوع تحت سيطرة رجل متجبر.

1– حكيم مالك : "النهاية "... إحياء لأدب الراحل عبد الحميد بن هدوقة، جريدة الوسط، الجزائر، ع 5275 ، 2020/06/22 ، ص 8 .

*حميدة شنوفي من مواليد 1990 بولاية المدية، هي روائية جزائرية تخرجت من كلية الحقوق و العلوم السياسية بشهادة ماستر تخصص "قانون عقاري"، لم تكن "النهاية" عملها الروائي الأول ، بل سبقته رواية انفصام بتوقيت الإفتراض ، الصادرة سنة 2017 ، شاركت في أكبر من كتاب جامع، و تعد ناشطة ثقافية.

2– إيمان جاب الله : " حميدة شنوفي " تعيد إحياء " ريح الجنوب " للراحل عبد الحميد بن هدوقة ، جريدة الأوراس ، الجزائر ، ع 1727 ، 2021/01/28 ، ص 13 .

فرسمت لنا الكاتبة من خلال نفيسة، مالك، عابد، ورابح وأمه، وخيرة صورة واضحة المعالم عن الفرق بين ذهنية منفتحة مثقفة، وذهنية منغلقة ذات تفكير رجعي، بين شخص مشبع بالإنسانية وآخر انعدمت فيه هذه الإنسانية نتيجة تجبره، كما بينت الفرق الشاسع بين المرأة العاصمية المستقلة والمرأة الريفية الخاضعة، وبين أم مشبعة بالحنان وحس الأمومة وأخرى أفقدها تجبر الرجل وتسلطه كل شخصيتها وجعلها تابعة له تماما، إلا أنها حاولت في نهاية المطاف أن تواجه وتقاوم لمصلحة صغارها.

صورت لنا مدى فضاعة الرجل الأناني المتسلط، وكيف يأثر ذلك بالسوء على من هم محيطين به، فعابد مثلا بسبب خيانته للوطن أيام الثورة ماتت ابنته الكبرى، وبعد الإستقلال هربت الأخرى بسبب رفضها لمخططاته المتمثلة في جعلها كبش فداء لتحقيق مصالحه الشخصية، وكذا هرب ابنه الوحيد بعد نفاذ قدرته على تحمل سوء و فضاعت المعاملة، فكانت النتيجة في غاية السوء بعد ما أصبح هذا الطفل قائد جماعة إرهابية تقتل الأبرياء، وتبث الرعب في نفوس الناس.

وفي المقابل صورت لنا ذلك الرجل الفدائي، المتحلي بصفات الرجولة و الروح الوطنية العالية، فنجده مستعد في أي وقت للتضحية بأي شيء لأجل تحقيق مصالح تخدم أرضه وشعبه، فكان مالك شخصية معاكسة لعابد وكاره له، فالأول مجاهد والثاني خائن حركي، كما صورت لنا كرم أهل القرية رغم فقرهم، ورجولة و شهامة البعض منهم رغم انعدام الجانب الثقافي فيهم – ما عدى الثقافة الشعبية بصفة عامة– كما نجده مع رابح، والعجوز المريض بالزهايمر، وابنته...

فكانت هذه الرواية بمثابة صورة جامعة لذهنيات مختلفة مثلت شرائح المجتمع الجزائري وواقعه، الذي يتخلله بعض الخيال..

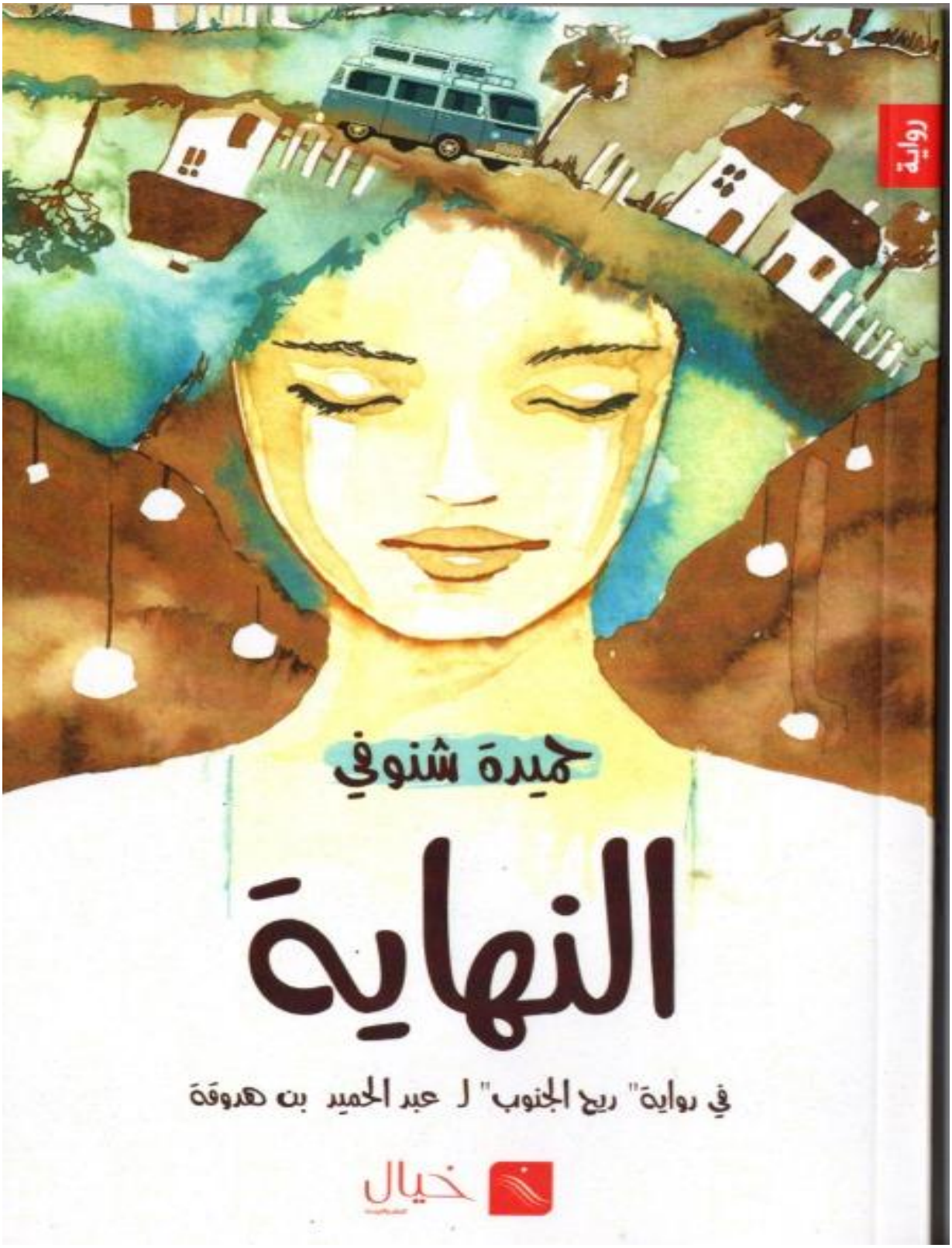
رواية
حميدة شنوفي
النهاية
في رواية" ريح الجنوب" لـ عبد الحميد بن هدوقة
خيال

ملخص

يسعى هذا البحث لمعالجة رواية "النهاية" لحميدة شنوفي، معتمدا على منهج نقدي سيميائي، لكشف الدلالات الخفية التي تحملها كل العناصر السردية المكونة لهذه الرواية، على إعتبار أن علم السيمياء إهتم بدراسة النصوص السردية واستنطاق معانيها السطحية والعميقة.

فكانت هذه الدراسة عبارة عن مقارنة سيميائية عكفت على فهم وتأويل مختلف الأنساق العلاماتية التي تم رصدها في هذا المنجز الأدبي الذي سلط الضوء على مكانة المرأة والأرض في الواقع الجزائري بعد فترة الإستقلال، وحال هذا الشعب خلال فترة العشرية السوداء .

الكلمات المفتاحية : الرواية الجزائرية – السيميائية – العلامة – رواية " النهاية " – حميدة شنوفي – فترة الإستقلال – العشرية السوداء .

Research summary:

This research seals to address the novel «the end » by hamida shenoufi , relying on a semiotic critical approach to revel the hidden connotations carried by all the narrative elements that made this novel , given that science of semiotics focused on studying narrative texts and , extracting their surface and deep meanings .

This study was semiotic approach that worked on understanding , and interpreting the various sign systems that were observed in this literary achievement, which shed light on the status of women and the land in the Algerian reality after the period of independence and , the condition of this people during the period of black decade.

Key words: Algerian novel – semiotics –sign – the novel – the « End » Hamida shenoufi –independence period – Black decade.

قائمة المصادر

والمراجع

*** القرآن الكريم .**

قائمة المصادر:

1. حميدة شنوفي : النهاية في رواية " ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة، دار الخيال للنشر والترجمة ، برج بوعريريج ، الجزائر ، دط ، 2019 .

قائمة المراجع العربية:

- الكتب :

2 **جميل حمداوي:** التواصل اللساني والسيميائي والتربوي ، دار النشر الألوكة (د . بلد) ، 2015 .

3 **حسن بحراوي:** بنية الشكل الروائي (الفضاء – الرمز – الشخصية)، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1، 1990، ص 209 .

4 **عبد الله قدور الثاني:** سيميائية الصورة ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، (د ط) ،(د ت).

5 **كريم شلال الخفابي** : سيميائية الألوان في القرآن ، دار المتقين للثقافة و العلوم و الطباعة و النشر ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2016 .

6 **كلود عبيد** : الألوان (دورها ، تصنيفها ، مصادرها ، رمزيتها ، و دلالتها) ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2013 .

7 **محمد السرغيني** :محاضرات في السيميولوجيا، ط1، دار الثقافة للنشر و التوزيع،الدار البيضاء،1407هـ-1987.

8 **محمد غنيمي هلال** : النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، (د.ط) ، 1997 ، ص 570 – 571 .

9 **هيام عبد الكريم عبد المجيد علي** : دور السيميائية اللغوية في تأصيل النصوص الشعرية – شعر البردوني نموذجا – ، دار النشر الجامعة الأردنية ، أيار 2001 .

- المقالات و الملتقيات

10 **إبراهيم مهديوي** : سيمياء الثقافة و التاريخ ، مجلة أمارات ، إصدار كلية الآداب و الفنون ،جامعة حسيبة بن علي بالشلف ، الجزائر ، المجلد 2 ، العدد 2 ، سبتمبر 2012 .

11 **أحمد علي محمد** : المفهوم اللغوي والاصطلاحي للسيمياء عربيا بحث في المصطلح والمصطلح المجاور(مقاربة فيولوجية) ، العميد مجلة فصيلة محكمة ، العدد 7 ، ذي القعدة 1434 هـ / أيلول 2013 م.

12 **آسيا جريوي** : المصطلح السيميائي بين الفكر العربي والفكري الغربي ، مجلة كلية الآداب واللغات ، العدد 12 ، جانفي 2013.

13 **أمينة فزاري**: السيميائية : المصطلح والمفهوم والإشكالية ، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية ، العدد 17، 2007 .

14 **بخولة بن الدين** : عتبات النص الأدبي مقاربة سيميائية ، المجلة الدولية لأسيمات ، مج 1 ، ع 1 ، 2013 .

15 **تيسير بريكوس** ، **فاديا سليمان** : سيميائية اللون في شعر الماغوط ، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها ، ع24 ، 2017 .

16 **حشلاني لخضر** ، **بديريتة فاطمة** : السيميائيات السردية من فلادمير بروب إلى غريماس ، مجلة مقاليد ، العدد 9 ديسمبر 2015 .

17 **حنان عبد الفتاح محمد مطاوع** : الألوان و دلالتها في الحضارة الإسلامية مع تطبيق على نماذج من المخططات العربية ، مجلة الإتحاد العام للآثار بين العرب ، ع18 ، (د.ت).

18 **خولة محمد الوادي** : قراءة سيميائية لأنظمة الألوان في نماذج قصصية ، دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، مج 45 ، ع 3 ، 2018.

19 **دفة بلقاسم**: ملامح الدرس السيميائي في الموروث العربي ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ،(دت).

20 **رضا عامر** : سيمياء العنوان في ديوان نصف الحلم يسرد نصفه الآخر للشاعر العماني ناصر العلوي ، مجلة آفاق للبحوث و الدراسات ، ع 3 ، 2019 .

21 **شادية شقروش** : سيمياء العنوان في ديوان (مقام البوح) للشاعر عبد الله العشي ، الملتقى الوطني الأول : السيمياء و النص الأدبي ، (د ت).

22 **عبد الرحمن بوعلي** : التحليل السيميائي للخطاب الروائي : " القوس و الفراشة " لمحمد الأشعري أنموذجا ، مجلة فصل الخطاب ، مج 9 ، ع3 ، 2020 .

23 **عبد القادر بن عامر ، سفيان مطروش** : مقاربة المنهج السيميائي في نقد الرواية الجزائرية ، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية ، العدد 6 ، مارس 2018.

24 **عقاق قادة** : السردية و مستويات التحليل السيميائي للنصوص (سيمياء السرد الغريماسية نموذجا) ، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر ، (د ت).

25 **علوي أحمد الملجمي** : النص بين النقد الثقافي و سيميائيات الثقافة المفهوم و آليات المقاربة ، مجلة ذخائر للعلوم الإنسانية ، دورية إلكترونية أكاديمية ، محكمة ، نصف سنوية ، العدد 2 ، 2017 .

26 **عياض عبد الرحمن أمين** : تأويل اللون في القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف ، الأكاديمي ، ع 57 ، 2011 .

27 **فراحتية نبيلة** : آليات التحليل السيميائي للنص السردي في الخطاب النقدي الجزائري تجربة – عبد الحميد بورايو، رشيد بن مالك أنموذجا – مجلة الفضاء المغاربي ، المجلد 3 ، العدد 4 ، أبريل 2020 .

28 **فركوس حنيفة** : الأصول الغربية للسيمياء و إرهاصاتها العربية ، مجلة الأثر ، العدد 23 / ديسمبر 2015 .

29 **فطيمة الزهرة بايزيد** : التشكيل الجمالي لصورة الغلاف و العنوان (دراسة سيميائية) ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر ، معسكر.

30 **لعموري زاوي** : " برق الليل " بين شعرية العنوان و فتنة العنوان ، مجلة الخطاب ، ع 9 ، 2011.

31 **محمد درويش ، نور الدين كنتاوي** : تقويم سيميائية غريماس في النقد الجزائري المعاصر ، مجلة آفاق علمية ، المجلد 11 ، العدد 4 ، 2019 .

32 **محمد ناقاني أصفهاني ، داود نجاتي** : التوظيف الفني في سيميائية الألوان عند أبن الرومي ، اللغة العربية و آدابها ، جامعة أصفهان ، (د.ت).

33 **منير شرفي:** الزمن النفسي في رواية الاز للطاهر وطار، جامعة تبسة، (د ت).

34 **ميساء صائب رافع** : السيمياء و التواصل ، مجلة الباحث الإعلامي ، العدد 33 – 34 ، (د ت).

35 **هدى أيت شقديد** : دلالات الألوان في الأمثال الشعبية الجزائرية ، مجلة تاريخ العلوم ، ع8 ، ج2 ، 2017 .

36 **هواري بلقندوز**: مدخل إلى السيميائيات التداولية إسهامات بيرس وشارل موريس ، الملتقى الثالث " السيمياء والنص الأدبي " كلية الآداب والفنون جامعة مستغانم ،(د ت) .

37 **وائل بركات** : السيميولوجيا بقراءة رولان بارت ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 11 ، العدد الثاني 2002 .

- المداخلات العلمية

38 **عبد النور بليصق** : عنوان المداخلة * سيميائية النص الروائي في الأدب الجزائري الحديث * قراءة سيميائية لرواية الشهداء يعودون هذا الأسبوع لطاهر وطار أنموذجا ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ،(د . ت).

- الرسائل الجامعية

39 **أسماء بن مالك** : الخلفيات النظرية للمصطلح السيميائي وترجمته إلى العربية ، مذكرة الدكتوراه في الترجمة ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، كليات اللغات والآداب والفنون ، قسم اللغة الانجليزية والترجمة ، 2018-2018 .

40 **بولفعة قروج** : فلسفة اللغة عند أرنست كاسيرر من التعبير عن العالم إلى تشكيل الثقافة ، مذكرة دكتوراه في علوم الفلسفة ، كلية العلوم الإنسانية ، قسم الفلسفة ، جامعة الجزائر 2 ، أبو القاسم سعد الله 2018 – 2019 .

41 **زاهي نجيب رشيد سلامة** : شعر الصعاليك في العصر الجاهلي – دراسة في ضوء سيمياء الثقافة – ، أطروحة الدكتوراه ، تخصص الأدب و النقد الأدبي ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن ، تموز 2019 .

42 **سارة رماضنية** : دلالات اللون في الديكور السينمائي فيلم التيتانيك أنموذجا للمخرج جيمس كاميرون ، شهادة دكتوراه ، تخصص سينوغرافيا فنون العرض ، كلية الآداب و اللغات والفنون ، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس ، 2018 ، 2019 .

43 **سلاف شهاب الدين يغموز** : التواصل غير اللفظي في الإبانة و التواصل نماذج تطبيقية و مقولات كلية ، مذكرة ماجستير في اللغة العربية و آدابها ، كلية الآداب و اللغات ، في جامعة بيرزيت ، فلسطين ، 2019 .

44 **شرشار فاطمة زهرة** : تجليات المنهج السيميائي في خطاب النقد الأدبي العربي المعاصر، مذكرة دكتوراه في النقد الأدبي الحديث و المعاصر ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة جيلالي ليابس ، سيدي بلعباس ، 2017 – 2018.

45 **عيسى مبرك** : فلسفة العلامة عند رولان بارت الأسطورة ونسق الزي أنموذجا ، مذكرة ماجيستير في الفلسفة ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، قسم الفلسفة ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2010–2011 .

46 **كمال أونيس** : النموذج العاملي في رواية مذنبون لون دمهم في كفي لحبيب السائح ، مذكرة ماجستير ، تخصص نقد أدبي ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر بسكرة 2012 – 2013 .

47 **كمال جدي**: المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك ، شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها ، تخصص النقد العربي و مصطلحاته ، كلية الآداب و اللغات ، قسم اللغة و الأدب العربي ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، 2011 – 2012 .

48 **نجاح عبد الرحمن المرازقة** : اللون و دلالاته في القرآن الكريم ، شهادة الماجستير في الأدب ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة مؤتة عمادة الدراسات العليا ، 2010.

-المحاضرات

49 **باية سيفون**: محاضرات في السيميولوجيا ، مقياس السيميولوجيا، موجهة لطلبة السنة الثالثة إعلام و اتصال ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم علوم الإعلام و الاتصال ، 2015 – 2016 .

50 **سمية الهادي** : أنواع الأسطورة ، محاضرة موجهة لطلبة ماستر 2 ، تخصص أدب عربي قديم ، معهد الآداب و اللغات ، قسم اللغة و الأدب العربي ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة ، 2020 – 2021 .

51 **شهرزاد بوسكاية** : الشخصية البطلة في أدب البطولة الجزائري ، محاضرة موجهة لطلبة ماستر 02 تخصص أدب جزائري ، كلية الآداب و اللغات، قسم اللغة و الأدب العربي ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة ،2020 – 2021 .

- **المعاجم و القواميس**

52 **ابن منظور**: لسان العرب ، المجلد 15 ، ط1 ، المطبعة الميرية ببولاق مصر المعزية ، 1303هـ.

53 **إسماعيل بن عماد الجوهري** : الصحاح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 القاهرة 1956م ، ط2 ، بيروت 1979م ، ج 5.

54 **مجد الدين محمد يعقوب الفيروز آبادي**: القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، (د ت).

- **الجرائد**

55 **إيمان جاب الله** : " حميدة شنوفي " تعيد إحياء " ريح الجنوب " للراحل عبد الحميد بن هدوقة ، جريدة الأوراس ، الجزائر ، ع 1727 ، 2021/01/28 .

56 **حكيم مالك** : " النهاية "... إحياء لأدب الراحل عبد الحميد بن هدوقة ، جريدة الوسط ، الجزائر ، ع 5275 ، 2020/06/22 .

- **مواقع إلكترونية**

57 **أشرف البنزرتي** : التواصل و الأنظمة الرمزية ، الإنسان كائن رامز ، موقع موسوعة سكوول ، 26/ 03 /2018،

https://mawsoaschool.net/baclettres/alensen-kayen-ramez/,14:37 , 13/03/2021.

58 **موقع إلكتروني** : المدارس و الاتجاهات السيميولوجية : 2017/04/14 .

https://bohouti.blogspot.com/2017/04/blog-post_193html?m=1,15:03,13/03/2021

قائمة المراجع المترجمة :

59 **برنار توسان** : ماهي السيميولوجيا ، ترجمة محمد نظيف ، دار النشر أفريقيا الشرق ، لبنان ، ط2 ، 2000 .

60 **خيبر بيرين** : الألوان و الاستجابات البشرية ، ترجمة صفية مختار ، الناشر مؤسسة هنداوي سي أي سي ، المملكة المتحدة ، (د.ط) ، 2017 .

61 **سيزا قاسم ، نصر حامد أبو زيد** : أنظمة العلامات في اللغة و الأدب والثقافة ، مدخل إلى السيميوطيقا ، مقالات مترجمة ودراسات ، دار إلياس العصرية ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ،(د.ط) ، 1986.

قائمة المراجع الاجنبية :

- **القاموس الانجليزي**

62 Larg English Dictionary to help you with learning English , Editors : M.Deuter ,J.Greenan and others .

63 N .S Doniach :the oxford English-Arabic Dictionary of current usage , oxford university press, 1972 .

64 القاموس عربي- إنجليزي ، The Dictionairy Arabic-English ، إعداد مكتبة الدراسات والبحوث ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003.

- **القاموس الفرنسي**

65 Dictionnaire de L'académie française- 5éme édition – 1798 .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	/
الشكر وعرفان	/
مقدمة	أ- ج
الفصل الأول : مصطلحات ومفاهيم البحث	
المبحث الأول : مفاهيم سيميائية عامة	11
أ – المفهوم (اللغوي / الإصطلاحي) للسيمياء	11
1 – اللغة	11
2 – الإصطلاح	14
ب – الفرق بين السيميولوجيا والسيميوطيقا	22
المبحث الثاني: الإتجاهات السيميائية	24
أ – الإتجاه التواصلي	24
ب – الإتجاه الدلالي	26
ج – الإتجاه الثقافي	32
– خلاصة المبحث	35
الفصل الثاني : الدراسة التطبيقية (مقاربة سيميائية لرواية النهاية ")	
المبحث الأول : سيميائية العنوان	39
المبحث الثاني : صورة الغلاف وألوانه	41

المبحث الثالث : سيميائية الشخصية	57
المبحث الرابع : سيميائية الزمكان	112
أ – سيميائية الزمان	112
1 – الزمن الإستذكاري	112
2 – زمن الإستباق	117
3 – الزمن النفسي	119
ب – سيميائية المكان	121
1 – دلالة الأماكن المفتوحة	122
2 – دلالة الأماكن المغلقة	131
ج – علاقة الزمان بالمكان	137
المبحث الخامس : المربع السيميائي	142
الخاتمة	147
ملحق	149
ملخص البحث	153
قائمة المصادر والمراجع	155
فهرس المحتويات	163